

الشيعة ولعبة تغير المناهج
سيد قمينى ومركسة الإسلام
شيعة السودان



سلسلة ألكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
الراصد - العدد الخامس والسبعون - رمضان 1430هـ

نقد أصول القاديانية

زعيم القاديانية

مرحلة نجاد الجديدة

المحتويات

[وغيرها من المواضيع المميزة.. تجدها في موقع «الراصد»]





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(الخامس والسبعون)
رمضان - ١٤٣٠هـ

www.alrased.net
info@alrased.net



العاقل من وعظ من غيره وتعلم حتى من عدوه، ولذلك فإن ما شهدته إيران من احداث عقب انتخابات الرئاسة العاشرة لعام (٢٠٠٩م) تحتوي على العديد من العبر للعقلاء؛ الذين يتأملون الأحداث بروية، ويزنونها بالمنطق والحكمة للوصول للحقائق الأكيدة والدروس المفيدة.

فالكثير من الناس؛ بل والمختصون وقفوا مبهوتين وحائرين تجاه ما يجرى، يبحثون عن إجابات لمجموعة من الأسئلة: هل ما يجري حقيقة أم تمثيل؟ وهل هو صراع على الزعامة فقط أم على جوهر النظام؟ ومن هي الأطراف الحقيقية في هذا الصراع؟ وما هي دوافعه؟



والآن، وبعد أن تم تنصيب أحمدي نجاد رئيسًا رغم استمرار الاحتجاجات، فقد دخلت الأحداث منحًى جديدًا، سيطرح العديد من الأسئلة الإضافية بدلًا من الإجابة على الأسئلة السابقة!!

ولذلك إن العمل على فهم حقيقة ما جرى سيسهل فهم ما قد يجري مستقبلًا، فما جرى هو صراع حقيقي بين أطراف متعددة اصطفت على محورين: محور نجاد، ومحور معارضيه، وكل محور يحتوي على تناقضات وتباينات كثيرة، لكن دواعي الضرورة جمعتهم، ودواعي المصلحة ستفرقهم!!

ومن الخطأ الكبير الظن أن هذا الصراع هو مصلحة خارجية لأي طرف، بل حقيقة الصراع هو اتباع أفضل طريقة لتحقيق المصلحة الإيرانية والثورة الخمينية، وذلك مثل الصراع الدائر بين الليكود والعمل في إسرائيل، أو المحافظين والديمقراطيين في أمريكا، وإن كان من حيث الشكل والتطبيق هو أقرب للصراع بين البلشفيك والمنشفيك في الثورة الشيوعية زمن لينين من حيث القمع والإرهاب.

ومن تأمل برامج هؤلاء المخالفين لنجاد -أيام الحملة الإنتخابية- لا يجد فرقًا جوهريًا، بل الفرق كان في الصياغة والشكل دون المضمون!! فجميع الفرقاء يؤمنون بقضية واحدة مع اختلافهم في الخيار الأفضل للوصول إلى نجاحها.

ومن هنا؛ فإن ظن بعض الناس أن نجاح محور المعارضين لنجاد يصب في صالح الدول العربية والإسلامية وهم كبير، بل لعل هذا المحور هو أكثر ضررًا علينا؛ لأنه يتبنى سياسة «الخنق بخيط من حرير».

وهـذه السياسـة عـادة مـا تـنجح معنـا لأننـا نحـن المسـلمين -في هـذه المرحلـة؛ وهـي مرحلـة الغثائيـة- لا نتنبه إلا بعد أن يبتلعنا الشر، وينفد منا الوقت للدفاع عن أنفسنا.

ومحور المعارضين لنجاد أعضاؤه هم:

١ - هاشمي رفسنجاني، الثلعب الماكر الذي يشارك في حمل كل أوزار ثورة الخميني ولليوم، وهذا الثعلب لم يتـورع عـن سرقـة مـال وثـروة شـعبه حتـى عـرف بتـاجر الفستق، فهل سيتورع عن أموالنا ودمائنا نحن الذين نعتبر بنظره نواصب؟!

٢ - محمـد خـاتمي، الـذي خـدع الكثير من زعاماتنا بثقافته ومنطقـه، لكنـه لم يتخـل عـن أي شيء مـن عـدوان إيران على جيرانها أو مواطنيه من السنة، كما أنه قد كسب لإيران الكثير من الوقت لتنهض من كبوتها، خاتمي الذي لم يحقق لشعبه الحرية والانفتاح، فهل نتوقع منه الخير لنا؟!

٣ - مـير حسـين موسـوي، رئـيس الـوزراء السـابق لإيران طيلة حربها مع العراق (١٩٨٠-١٩٨٨م)، قبل أن يـتم إلغـاء المنصـب في عـام (١٩٨٩)، وهـو الـذي أرسـل الحرس الثوري للبنان لدعم الشيعة وتنصيب «حزب الله» كقوة إيرانية في لبنان!!

٤ - مهـدي كـروبي، رئيس البرلمـان السـابق، والـذي قضى حياته في محـور المحـافظين، وكـان أشـد المنـازعين لخاتمى أيـام رئاسته، لـذا فإنـه لـن يكـون مسـتعدًا للتفـريط بأحلام إيران التوسعية على حساب جيرانها.

٥ - أمـا محسـن رضـائي، فهـو ابـن الحـرس الثـوري مهما حاول تلطيف صورته.

وبنـاء عـلى مـا تقـدم، يمكـن للمتأمـل الخـروج بالنتائج التالية:

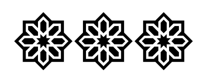
١) إيـران تواجـه تحـديات داخليـة كبـيرة تسـتدعي معالجات ضخمة، مما جعلها تتناقض في معالجتها على طريقـة المحـافظين بمزيـد مـن التشـدد والتعصب والقمـع، ممـا يسـاعد -بحسـب المعارضـين- بزيـادة الاحتقـان الشعبي، ويسرع بالانفجار.

٢) لا تـزال قبضـة النظـام قويـة، وتـزداد قـوة العسـكر؛ وخاصة الحرس الثوري على حساب القوى الأخرى، مما يهدد الجيران بسياسات أكثر عدوانية.

٣) هذا التشـدد مع الـداخل والجوار لـن ينسحب على الأطراف الدولية وخاصة أمريكا، فغالبًا سيلجأ هذا النظام المتشـدد لتمريـر صـفقة مـع أمريكـا حتـى يتفـرغ للـداخل والجـوار؛ كـما فعـل الخمينـي مـن قبـل في فضـيحة إيـران غيت.

٤) رغـم كـل مـا جـرى مـن أحـداث في إيـران، وشـلل العـالم تجـاه كيفيـة التعامـل معهـا، إلا أن سياسـة إيـران الخارجية العدوانية بقيت مستمرة بنفس المنوال السابق (تصـاعدت نشـاطات الحـوثيين في الـيمن، تعطيـل حـزب الله، تشـكيل حكومة لبنانية، سيطرة الفصائل الشيعية على العـراق، التـدخل في شـؤون كردسـتان، ...) ممـا لا يـبشر بخير.

٥) غياب سياسة عربية أو إسلامية تتعامل مع أحداث إيران بما يحقق المصلحة العربية والإسلامية، مما يمكن إيران من تحقيق المكاسب -خسائر لنا-، ونحن نتفرج.



نقض أصول القاديانية

جمع وتنسيق «موقع الراصد»

سبق لـ «الراصد» في العدد الثامن أن عرفت بالقاديانية بشكل مختصر، لكن لوحظ في الفترة الخيرة نشاط زائد للقاديانيين في العالم؛ وفي المنطقة العربية بشكل خاص، فقد انشؤا موقع على شبكة الإنترنت، ومجلة وفضائية باللغة العربية!!

وبسبب مهاجمتهم للنصارى يبدوا أن بعض الجهلة قد تقبل دعوتهم، واعتقد أنهم مسلمون صادقون! ولأن كثير من المختصين -فضلًا عن العامة- لا يعرف حقيقة شبهاتهم؛ أحببنا أن نفرد هذا البحث لدحض مقولاتهم المركزية وهي: أن زعيمهم غلام قديان هو نبي بعد محمد ﷺ، وأنه هو المسيح الذي أخبرنا النبي ﷺ بنزوله آخر الزمان؛ وليس عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام!!

وهذا دأبهم من أكثر من خمسين سنة، يحكي العلامة الألباني عن معايشته لدعاة القاديانية في سوريا أواسط القرن الماضي فيقول: «وإن من أبرز علاماتهم: أنهم حين يبدأون بالتحدث عن دعوتهم إنما يبتدئون قبل كل شيء بإثبات موت عيسى عليه الصلاة والسلام، فإذا تمكنوا من ذلك -بزعمهم-، انتقلوا إلى مرحلة ثانية وهي: ذكر الأحاديث الواردة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ويتظاهرون بالإيمان بها، ثم سرعان ما يتأولونها؛ ما دام أنهم أثبتوا بزعمهم موته، بأن المقصود نزول مثيل عيسى! وأنه هو غلام أحمد القادياني!»[1]

جاء في موقعهم تحت عنوان «ملامح الجماعة الإسلامية الأحمدية» ما يلي:

«**أسسها بأمر من الله -تعالى- سيدُنا ميرزا غلام أحمد القادياني** عليه السلام، معلنًا أنه ذلك الموعود الذي بشّرنا سيدُنا محمد المصطفى ﷺ بمجيئه في الزمن الأخير، والذي ارتقبت بعثتَه مختلفُ الديانات بحسب نبوءاتها وبشاراتها وتسمياتها له، وعلى سبيل المثال: الهندوس ينتظرون «كرشنا»، والمسيحيون «المسيح»، والبوذيون «بوذا»، والمسلمون «المهدي والمسيح»».

وحول مفهومهم لختم النبوة قالوا:

«**ونرى أن مفهوم خاتم النبيين** يلخص كمال الرسول ﷺ، وكمال الإسلام، وكمال القرآن الكريم وشريعته وتعاليمه، وكمال الأمة الإسلامية وتفردها على غيرها من الأمم السابقة...

معنى الخاتم لغة: ومن المعلوم أن الفعل «ختم» في اللغة يعني: أنهى وأغلق، كما يعني -أيضًا-: طبع؛ أي ترك طابعه في شيء، أو أعطاه من طابعه، أو أثّر فيه.

أما «خاتَم» أو «خاتِم» في اللغة فتعني: ما يوضع في الإصبع للزينة؛ ما يستخدم للختم أو التصديق؛ أو ما يستعمل للختم أو الإغلاق.

وإذا أضيف «خاتَم» أو «خاتِم» أو «خاتِمة» إلى جمع العقلاء؛ فلا يكون معناه إلا الأفضل والأكمل الذي جاء بما لم يأتِ ولن يأتي أحد من قبله أو من بعده بمثله،

[1] «العقيدة الطحاوية: شرح وتعليق»، طبعة المعارف، (ص٢١).

كذلك تعني: مَن جمَع أفضل ما كان للسابقين من أعمال وآثار ومحاسن، ومن ثم صاغها في أزين صورة، ثم ترك أثره وطابعه فيمن جاء بعده.

وبهذا يكون قد وصل الكمال فيما نُسب إليه بحيث لا يصل إلى مرتبته أحد ممن كان قبله أو ممن جاء بعده، وهنالك أمثلة يصعب حصرها لهذه الصيغة بهذا المعنى في كتب التراث والآثار.

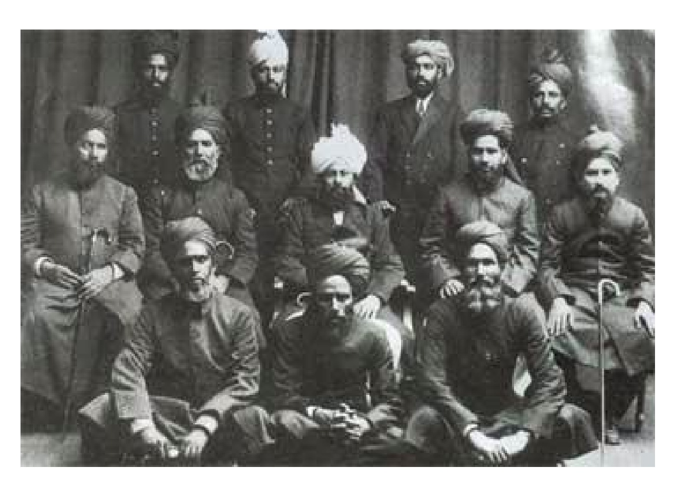
وهكذا تكون «خاتم النبيين» تعني: أفضلهم وأكملهم، وهو الذي قد وصل إلى الكمال في النبوة بحيث لا يصل إلى مرتبته أحد ممن كان قبله أو ممن سيأتي بعده، وهو من جمَع أفضل آثار الأنبياء السابقين، ومن ثم صاغها في أزين صورة، ثم ترك أثره وطابعه فيمن جاء بعده».

وقالوا: «بما أن خاتمية الرسول ﷺ هي خاتمية دائمة مطلقة، فإن هذا يعني: أنه لم يكن قبله نبي كمثله؛ كما لا يمكن أن يأتي بعده نبي كمثله مطلقًا...

فهل يمكن أن يأتي نبي بحيث يكون أدنى منزلة من الرسول ﷺ؟ وهل يمكن أن يأتي نبي يكون تلميذًا له ﷺ، ولا يأتي بدين ولا كتاب ولا بأمة جديدة؟ وماذا سيفعل إن لم يأتِ بدين أو كتاب أو لم يقم بتأسيس أمة جديدة؟

الجواب: نعم بالطبع، وهذه هي الصفة الغالبة على معظم النبيين، فقليل جدًّا منهم من جاء بدين جديد وشرع جديد، وقليل منهم من أنشأ أمة جديدة، وإنما جاء معظمهم لتجديد الدين السابق، وإعادة الناس إلى دينهم الأصلي، وبمراجعة تاريخ الأنبياء يتضح هذا جليًّا.

إن خاتمية النبوة تفرض أن يكون هنالك من يصلون إلى مقام النبوة في الأمة الإسلامية كدليل على كمال الأمة الذي هو أحد ركائز ختم النبوة، وليس مقبولًا مطلقًا أن يقال بأن الأمة ستكون أفضل الأمم وأرفعها بينما لا يصل أفرادها إلى الدرجات العليا التي كان يصلها من كان قبلهم، فأي أفضلية بقيت في هذه الأمة إذن؟!



خليفة القاديانية الثاني: بشير الدين محمود أحمد مصطحبًا أحد عشر مبلغًا إلى الديار العربية سنة (١٩٢٤م)

وهكذا نجد أن مفهوم خاتم النبيين يحدد ملامح النبوة بعد الرسول ﷺ بشكل واضح وجلي، وهذا المفهوم ما كان إلا لكي يبين علو شأن النبي بين الأنبياء من ناحية، واستمرار النبوة من بعده من ناحية أخرى وعدم انقطاعها، ولكن النبوة قد قُيدت بشروط لم تكن موجودة سابقًا، وأصبحت محصورة في الأمة الإسلامية».

= **الرد عليهم:**

وهذا التأويل أن محمدًا ﷺ هو أفضل النبيين لا أنه آخرهم؛ لا تسانده أقوال المفسرين والعلماء، ولا يصحُّ إلا في لغة الأعاجم، وأما في اللغة التي أنزل الله

-تعالى- بها القرآن فلا يصحُّ أبدًا؛ بل لا يجوز؛ لأنه تحريف للكلم عن مواضعه.

قال الله -تعالى-: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب:٤٠]، فنفى سبحانه أن يكون محمد ﷺ أبا أحد من رجال المخاطبين، وأثبت كونه رسول الله، وخاتم النبيين.

وقد جاء هذا النفي ردًّا على المنافقين واليهود؛ الذين قالوا: تزوج محمد حليلة ابنه زيد، وهي زينب ﷺ التي تزوجها النبي ﷺ بعد أن طلقها زيد بن حارثه، وهو ابنه بالتبني، وكان الهدف من هذا الزواج هو إبطال فكرة التبني، التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي وقتئذ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ استدراكٌ، الغرضُ منه: بيانُ إجمال النفي قبله، ورفعُ ما قد يُتَوَهَّمُ مِن نفي أبوته عليه الصلاة والسلام من انفصال صلة التراحم والبِرِّ بينه وبين الأمة، فذُكِّروا بأنه رسول الله ﷺ، فهو كالأب لجميع أمته في شفقته ورحمته بهم، وفي برِّهم وتوقيرهم إياه، شأن كل نبيٍّ مع أمته، وأنه خاتم النبيين؛ وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبيٌّ؛ إن ترك شيئًا من النصيحة والبيان، يستدركه من يأتي بعده، وأما من لا نبيَّ بعده يكون أشفق على أمته، وأهدى لهم وأجدى؛ إذ هو كالوالد لولده، الذي ليس له غيره من أحد.

فكونه عليه الصلاة والسلام (رَسُولَ الله، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) يفيد أنه ليس بأب شرعي لأحد من رجالهم، وأنه أب للمؤمنين جميعًا، وأن الصلة بينه وبينهم هي صلة النبي بأمته، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى؛ فإنه لو كان عليه الصلاة والسلام أبًا لأحد من رجالهم؛ لما صحَّ أن يكون خاتم النبيين والمرسلين، لأنه لو ثبت أنه أبٌ شرعي لأحد منهم؛ كزيد بن حارثة -مثلًا-، لربما خلفه في النبوة، فلا يكون حينئذٍ خاتم النبيين والمرسلين.

ومعنى كونه عليه الصلاة والسلام **(خَاتَمَ النَّبِيِّينَ):** أن النبوة ختمت بنبوته، فلا نبي بعده إلى أن تقوم السَّاعة، أي: أنه لا تبدأ نبوة ولا تشرَّع شريعة بعد نبوته وشرعته، فهو آخر الأنبياء عليهم السلام، ويلزم من كونه ﷺ (خَاتَم النَّبِيِّينَ) كونه (خَاتَم المُرْسَلِينَ)؛ إذ لا رسالة إلا بنبوة، ولهذا يقال: كل رسول نبيٌّ، وليس كل نبيٍّ رسولًا.

وأن (الخاتَم) بمعنى:(الزينة)، إلا جاهل بلغة العرب، أو متجاهل خبيث شرير، غرضه إثارة الشبهات، ووضع السمِّ في الدَّسَم، ولا يخفى ذلك إلا على ضعاف النفوس والإيمان.

الخاتِم -بفتح التاء وكسرها-: اشتقاقهما من الخَتْمِ، والختم- في اللغة- ينبئ عن إتمام الشيء، وبلوغ آخره، يقال: فلانٌ خَتَمَ عليك بابه، إذا أعْرَض عنك، وخَتَمَ فلانٌ لك بابَهُ، إذا آثرَك على غيرك، وخَتَم فلانٌ القُرآن، إذا أتمَّ قراءته، أو حفظه إلى آخره، وخاتِمة السورة: آخرها، واخْتَتَمَ الشيء نَقيض افتَتَحه، وخاتَم كل شيء، وخاتِمه، وخِتامه: عاقبتُه وآخرهُ، وخِتامُ الوادي: أقصاه.

وقوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[المطففين:٢٦]. أي: آخرُ ما يجدونه منه عند شربهم إياه رائحةُ المسك، ويقرأ: (خَاتِمهُ مِسْكٌ)؛ أي: عاقبتُه ريحُ المسك، وخِتامُ كلِّ مشروبٍ، وخاتَمُه: آخِرُه.

وقال الفراء: «قرأ عليٌّ عليه السلام: (خَاتِمُه مِسْكٌ)، وقال: «أَما رأيتَ المرأَةَ تقول للعطَّار: اجعلْ لي خَاتِمَه مِسكًا»، تريد: آخرَه»، وقال الفراء: «والخاتِمُ والخِتامُ متقاربان في

المعنى، إلاَّ أَن الخاتِمَ: الاسمُ، والخِتام: المصدر».

وحقيقـةُ الخَـتْمُ: السَّـدُّ علـى الإنـاء، والغَلْـقُ علـى الكتاب بطين ونحوه، مع وضع علامة مرسومة في خاتَم؛ ليمنع ذلك من فتح المختوم، فإذا فُتِح علم صاحبه أنه فتِح؛ لفسادٍ يظهر في أثر النقش، وقد اتخذ النبي ﷺ خاتمًا لذلك، وقد كانت العرب تختم على قوارير الخمر؛ ليصلحها انحباس الهواء عنها، وتسلم من الأقذار في مدة تعتيقها، والخَتْمُ: أفواه خَلايا النَّحْل، والخَتْمُ: أَن تَجمع النحلُ من الشَّمَع شيئًا رقيقًا -أَرقَّ من شَمَع القُرْص- فَتَطْلِيَه به.

والخاتَم -بفتح التاء-: الطين الموضوع على المكان المختوم، وأطلق على القالَبِ المنقوش فيه علامة أو كتابة يطبَع بها على الطين؛ الذي يخُتَم به، بحيث لا يخرج منه شيء، ولا يدخل فيه شيء، والخِتام: الطين الذي يخُتَمَ به على كتابٍ، ويقال: هو الخَتْم، يعني: الطين الذي يخُتَم به، والخِتَامُ: هو أن تُثار الأرضُ بالبَذرِ حتى يصير البذرُ تحتها، ثم يسقونها، وخَتْمُ البَذر: تغطيته؛ ولذلك قيل للزَّارِعِ: كافرٌ؛ لأنه يغطِّي البَذْر بالتراب.

قال الله -تعالى-: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[البقرة:7]، فجعل على قلوب الكافرين وأسماعهم خَتْمًا؛ كختم الطين على الجرَّة؛ ليكون لها مانعًا، يمنعها من ألَّا يدخل فيها شيء، أو يخرج منها شيء، أما أبصارهم فجعل عليها غشاوة؛ لتكون مانعة لها من الرؤية منعًا، لا يكون معه إلا العمى؛ وذلك لأنهم لم يؤمنوا.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون:3]، فجعل على قلوب المنافقين طابعًا يمنعها من الفهم والعقْل منعًا، لا يرقى إلى المنع بالختم، وبالغشاوة؛ لأنهم آمنوا، ثم كفروا.

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾[يس:65]، أي: نمنعهم من الكلام، والختم على الأفواه والقلوب قريب معناه من القَفْل.

والخَاتَم والخَاتِمُ: من أسماء النبي ﷺ، وسمِّي بذلك لأن الله -تعالى- ختم به الأنبياء والرسل، وتمَّمَهم به، بحيث لا يأتي بعده نبيٌّ، ولا يبعث ممَّن قبله نبيٌّ؛ كما يختم بالطين على الجرَّة، بحيث لا يدخل فيها شيء، ولا يخرج منها شيء، فليُتأمَّل!

ويدل على ذلك: قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿ولَكِنْ نَبِيًّا خَتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، وجاء في «تُحْفَةِ الأَحْوَذِيِّ»: «الخاتِمُ، بكسر التاء، أي: فَاعِلُ الخَتْمِ، وهو: الإِتْمَامُ، والبُلُوغُ إلى الآخر، وبفتح التاء، بمعنى الطَّابَعِ، ومعناهُ: الشيءُ الذي هو دليلٌ على أنه لا نَبِيَّ بعده، وقال القاضي البَيْضَاوِيُّ: خَاتِمُ النُّبُوَّةِ أَثَرٌ بين كتفيه، نُعِتَ به في الكتب المتقدِّمة، وكان علامةً يُعْلَمُ بها أنه النَّبِيُّ الموعود، وصيانةً لنُبُوَّتِهِ عن تطرُّق القدْح إليها صيانةُ الشيءِ المُسْتَوْثَقِ بالخَتْمِ». ذكره العَيْنِيُّ.

ولأن الله ﷻ يريد بيان كذب هذا الدجال جعله يقع في التناقض! فهو يستخدم كلمة (خاتم) بمعنى الأخير في كتبه، كما في قوله: «كنت **خاتم** الولد عند أبي، فلم يولد له ابن **بعدي**». كتابه «خزائن روحانية»، (ج21 ص113)، و«براهين أحمدية»، (ج5)، و كتب عن عيسى بن مريم عليه السلام: «لقد كان **خاتم الأنبياء** إلى بني إسرائيل». «خزائن روحانية» (ج21 ص267)، و«براهين أحمدية» (ج5)، طباعة الجماعة الأحمدية - القاديانية.

وهنا يلزم التنبيه على تناقض واقعهم وحالهم مع قولهم: «فهل يمكن أن يأتي نبي بحيث يكون أدنى منزلة

من الرسول ﷺ؟ وهل يمكن أن يأتي نبي يكون تلميذًا له ﷺ، ولا يأتي بدين ولا كتاب ولا بأمة جديدة؟ وماذا سيفعل إن لم يأتِ بدين أو كتاب أو لم يقم بتأسيس أمة جديدة؟

الجواب: نعم بالطبع، وهذه هي الصفة الغالبة على معظم النبيين، فقليل جدًّا منهم من جاء بدين جديد وشرع جديد، وقليل منهم من أنشأ أمة جديدة، وإنما جاء معظمهم لتجديد الدين السابق، وإعادة الناس إلى دينهم الأصلي».

حيث أن القادياني في الحقيقة جاء بدين جديد لا يمت بصلة لدين محمد عليه الصلاة والسلام، مما يبطل دعواهم!!

وأيضًا؛ إذا كان يمكن أن يكون هناك نبوة بعد محمد ﷺ، فلماذا حصرتوها في نبي واحد فقط؛ وهو ميرزا غلام؟ لماذا لايكون هناك أنبياء أخرين؟ وهكذا لا يمكن غلق الباب أمام أي دجال آخر!!

تحريفهم لمعنى الأحاديث النبوية:

قال القاديانيون في موقعهم: «عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي**». (أبو داود، كتاب الفتن)، يقولون: أين المجال بعد هذا الحديث لمجيء نبي من أي نوع، أو بأي مفهوم من مفاهيم ختم النبوة؟»».

هذا صحيح، ونحن معكم في هذا مائة بالمائة، ونقر بأن الباب الذي أغلقه النبي ﷺ لا يحق لأحد أن يفتحه أبدًا، فآمنّا وصدّقنا بكل ما قاله الرسول ﷺ، ولكن الباب الذي فتحه النبي ﷺ بيده لا يقدر أحد كائنا من كان على إغلاقه، وهذا ما لا يقبله أصحاب الفهم التقليدي، مما يجعل الأمر متنازعًا فيه.

ذلك أن النبي ﷺ إذا كان قد حذر من الدجالين من ناحية، فإنه من ناحية أخرى قال -أيضًا- حين أخبر عن نزول عيسى عليه السلام: «**ليس بيني وبينه نبيٌّ** -يعني: عيسى عليه السلام-، **وإنه نازلٌ**» «سنن أبي داود»، (باب ذكر خروج الدجال).

بهذا الحديث قد حل النبي ﷺ قضية «**لا نبي بعدي**»، وقضية الدجالين الثلاثين -أيضًا-، إذ قال: ليس بيني وبينه نبي، **المراد من «بعدي» هو: أنه مهما ظهر الدجالون الكذابون؛ فلا تحسبوا عيسى دجالًا، إنه نازل لا محالة، غير أنه ليس بيني وبينه نبي ولا رسول.**

وينبغي ألا يفهم مما سبق: أن النبوة مفتوحة لكل من هبّ ودب! ولكن المقصود هو: أن مقام النبوة هو أحد المقامات التي ينالها المؤمنون؛ كما ينالون الصديقية والشهادة والصالحية، ومقام النبوة في الأمة الإسلامية مقيد بقيود كثيرة تجعله لا يعدو كونه درجة عند الله -تعالى-»». إ.هـ

= **الرد عليهم:**

إن حقيقة ما يريده القاديانيون من كلامهم السابق: أن هناك نبي بعد محمد ﷺ هو عيسى عليه السلام، وهذا أمر مقرر في القرآن، لكن الذي أخفوه -هنا- هو أن دجالهم ميرزا غلام هو النبي أو المسيح!! ولذلك يبذلون جهدهم في إثبات أن نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام قد مات، وهذا من أساسيات الخلاف معهم.

وعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حين ينزل آخر الزمان لا ينزل على أنه رسول مجدِّد؛ بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأن الواجب على

عيسى، وعلى غيره من الأنبياء عليهم السلام: الإيمانُ بمحمد ﷺ؛ كما قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران:٨١] ، وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد ﷺ؛ كما صحَّ ذلك عن ابن عباس وغيره.

ومرة أخرى يلزم التنبيه أن حال دجالهم ميرزا غلام تناقض قولهم: «وينبغي ألا يفهم مما سبق: أن النبوة مفتوحة لكل من هبّ ودب! ولكن المقصود هو: أن مقام النبوة هو أحد المقامات التي ينالها المؤمنون؛ كما ينالون الصديقية والشهادة والصالحية»، حيث أن حسن السيرة والسريرة لم تكن قط من شيم وأخلاق دجالهم!!

مخالفتهم للقرآن الكريم بزعم موت عيسى عليه السلام:

قالوا في موقعهم: «من أغرب العقائد التي راجت بين عامة المسلمين، وأكثرها إساءة للإسلام ولرسوله سيدنا محمد ﷺ هي: عقيدة حياة عيسى بن مريم عليه السلام في السماء، **فلقد تسربت هذه العقيدة من المسيحية إلى الإسلام**، ولاقت رواجًا، بسبب خطأ استنتاجي آخر وقع فيه بعض العلماء».

وقالوا: «لقد أوحى الله -تعالى- إلى حضرة المؤسس عليه السلام: أن عيسى عليه السلام ليس بحيّ، بل مات كغيره من الرسل... ، وأما القول بأن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء حيًّا، وسينزل من السماء بجسده المادي في آخر الزمان مع الملائكة بكل قوة، ويغلب الناس؛ **فهو في الحقيقة تصور باطل** مأخوذ من عقيدة النصارى، وليس بثابت من القرآن المجيد، فما رُفع عيسى ابن مريم إلى السماء حيًّا بجسده، وماأُلقِيَ شَبَهُه على أحد، بل علّق على الصليب؛ ولكنه لم يمت عليه، وأُوذِيَ كما أُوذي جميع الأنبياء، وقد تحمَّل عيسى ابن مريم عليه السلام الأذى لبضع ساعات لما عُلق على الصليب، ولما أُنزل عنه كان في حالة الإغماء الشديد حتى خُيّل لهم أنه مات؛ كما جاء في القرآن المجيد: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٥٨]، أي: شُبِّه الأمر بالقتل والصلب، أو شُبِّه المسيح المغمى عليه بالقتيل، ولكنه في الحقيقة كان في حالة إغماء؛ كما أقر ﷻ ذلك في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾.

بعد واقعة الصليب هاجر عيسى ابن مريم عليه السلام من فلسطين إلى البلاد الشرقية (في العراق، إيران، أفغانستان، وكشمير) حيث كانت تسكن معظم القبائل الإسرائيلية المشرّدة...، لقد ألّف حضرة المؤسس عليه السلام كتابا أسماه: «المسيح الناصري في الهند» بيّن فيه كل ما يتعلق بعيسى بن مريم عليه السلام، ودلائل نجاته من الموت على الصليب، وهجرته إلى بلاد المشرق، وإلقائه عصا التسيار في كشمير، وموته ودفنه هناك». إ.هـ

= **الرد عليهم:**

يعتقد المسلمون بما تضمنته الآيات والأحاديث المتواترة بأن المسيح عيسى عليه السلام رفعه الله -تعالى- إلى السماء، وأنه باقٍ حيًّا فيها إلى قرب قيام الساعة؛ إذ سينزل إلى الأرض فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم بالشريعة المحمدية، ثم يموت عليه السلام كسائر البشر.

وما زعموه من هجرته إلى الهند هو مما يضحك الثكلى! وليس له دليل أو مستند، وخلاف صريح القرآن.

ومما يؤكد بطلان قولهم: ما قام به دجالهم من تلاعب وتزوير لتنطبق عليه الأحاديث التي أخبر بها

النبي ﷺ عن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام؛ كما سنفصل في الفقرة التالية.

دعوى ميرزا غلام أنه المسيح الموعود في كتبه:

يقول ميرزا في كشتي نوح: «إني أنا عيسى الذي تنتظرونه، وشكوكهم فيّ إنما لأجل جهلهم عن حالي».

ويقول: «ناداني الله باسم المسيح وقت تأليف: براهينى أحمدية»، «وأوحى إلي مستمرًا بأن الله ورسوله سيعلنان خبر قدومي، ولكن كان اعتقاد المسلمين في المسيح نزوله قرب الساعة، فأولت تلك الأحاديث بثقة ورسوخ، ثم أوحى الله متواصلًا كالسيل العرم بأني أنا المسيح، و شهدت به السماوات والأرض، فأكدت بأني أنا المسيح الموعود».

ويقول -أيضًا- في «تبليغ رسالت» - مجموعة إعلانات الغلام (ج ١٠ ص ١٨): «أقسمكم بالله الذي بعثني والذي لايجترئ أحد أان يفتري عليه إلا الملعونون أنه جعلني مسيحيًّا».

ويقول: «ادعي بأني أنا المسيح الذي وعد به في الكتب السماوية والذى ينزل في آخر الزمان».

= **الرد عليهم:**

إن سبب دعوى ميرز غلام أحمد القادياني كونه هو المسيح الموعود خدعة بريطانية لإطفاء حماسة الجهاد من نفوس المسلمين الهنود؛ حيث إن المسلمين - الذين سيطر عليهم التصوف والجهل - كانوا يعتقدون بهدوء الأجواء وسكونها من الحروب والمعارك، واستمرار السلام والاطمئنان حينما ينزل عيسى عليه السلام؛ كما ورد ذلك في عدة أحاديث صحيحة، ولما اشتعلت مقاومة الهنود ضد قوات الإحتلال؛ لا سيما في صفوف المسلمين قامت القوات الإستعمارية بكل حيل ومكائد لإطفاء شرارة هذه المعارك العنيفة، ومن ذلك: الباس ميرزا زي المسيح.

وتصميم هذه النظرية قد تم من عقل نور الدين الحكيم -الساعد الأيمن لميرزا غلام أحمد القادياني-؛ الذي كان له إطلاع واسع على أحوال المجتمع الإسلامي وثقافته في القرن التاسع عشر، واستشعر بمدى تأثير الأمة الإسلامية بالعقيدة الدينية، وبعد تفكر عميق أدرك بأن الطريق الأمثل للنفوذ إلى قلوب المسلمين هو استغلال اعتقادهم وصحوتهم الدينية، فحاول أن يلعب بالأخبار الواردة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وقام بإغراء ميرزا على أن يبرز في مظهر المسيح الموعود.

من الأحاديث الواردة في نزول عيسى: وقد اعطى لنا رسول الله ﷺ صورة واضحة عن نزول عيسى عليه السلام بالقرب من الساعة، وبين لنا كيفية نزوله، وموضعه، والحوادث التي ستقع عندئذٍ، وعن لباسه الذي يرتدي وقتئذٍ، وصورته الشخصية، وغيرها من الأوصاف التي لا يتشكك فيها إلا من لعب به الشيطان وجهل القرآن والسنة!

- عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا وعدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها».

- وعن نواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اذا بعث الله المسيح ابن مريم؛ فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد

ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه؛ حتى يدركه فيطلبه بباب لدّ فيقتله». رواه مسلم

ففي أحاديث رسول الله ﷺ دلالة واضحة، وصورة بينة عن شخصية المسيح؛ بحيث لايدع مجالًا للشك فيه، فالمسيح الذي ينتظره المسلمون هو كما قال ﷺ: «**ينزل فيكم ابن مريم**»، وكما قال: «**فبعث الله عيسى ابن مريم**»؛ وليس هو غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطاء محمد القادياني!!

تأويلات ميرزا الباطلة للأحاديث:

١ - **حاول ميرزا غلام أحمد** أن يقارن نفسه بعيسى ابن مريم، فقال: «معنى كون المسيح عيسى ابن مريم هو: كونه في شبهه ومثله، ولي شبهه في عدة أمور حتى في الولادة، وكانت ولادة المسيح ولادة غريبة؛ كما هو حال ولادتي؛ حيث ولدت مع بنت! وأن عيسى بعث بعد موسى باربعة عشر قرنًا، وكذلك هو مبعوث بعد الرسول ﷺ بأربعة عشر قرنًا، وأنه ليس بقرشي كما أن عيسى ليس من بني إسرائيل، ومنها -أيضًا-: كون بعض جداته شريفات مع أن أباه ليس من الشرفاء، وكذلك عيسى بن مريم إسرائيليّ من جهة الأم فقط وليس من جهة الأب، لأنه لا أب له».

ثم شطح شطحة كبيرة!! حيث قال: «جعلني الله مريم، وبقيت على تلك الحالة عامين، ثم نفخ في روح عيسى؛ كما في مريم، فحملت وبعد عشرة أشهر صرت عيسى، فأصبحت ابن مريم حسب هذه الصورة»!!!

٢ - **ولما كان النبي ﷺ ذكر المكان** الذي ينزل فيه عيسى ابن مريم -يعني: عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين-، وميرزا لم ينزل قط؛ حيث إنه لم يصعد ولم يرتفع حتى ينزل؛ فضلًا أن يكون نزوله في المكان المذكور، بل ولد في قاديان، قام ميرزا ببناء منارة في قاديان، وسماها بـ: (منارة المسيح)، وكتب في «إزالة أوهام» (ص٦٨): «قاديان قرية شبيهة بدمشق، وبعثت في هذه القرية لتحقيق مهمة عظيمة، وسبحان الذي أنزلني على منارة بيضاء في جانبها الشرقي»!!!

وقام نجله بشير الدين سنة (١٩٢٤) بزيارة دمشق، ونزل بها فدية لكفارة أبيه، وجاء هذا الخبر في جريدة القاديانية، حيث تقول: «وقد حقق خليفة المسيح بشير الدين محمود أحمد بنزوله على منارة بيضاء شرقي دمشق؛ حسب النبوءة التي وردت في الحديث بنزول المسيح بها، ومكث في فندق فائق ثلاثة أيام؛ كما ذكر في الحديث»!!!

٣- **ومن الأوصاف للمسيح عيسى ؈** التي وردت في الأحاديث نزوله على ردائين أصفرين، وقد تشبث القادياني الذي جاء إلى الأرض عاريًا من بطن أمه بتأويل هذه الأوصاف -أيضًا-، وقال: المراد بردائين أصفرين: المرضان، والحديث الوارد فيه ذكرهما يشير إلى إصابة المسيح بمرضين، فها أنا مصاب بهذين المرضين: مرض البول، ودوران الرأس! والقادياني يعترف بشدة هذين المرضين؛ حتى أنه كان يسقط على الأرض بشدة دوران الرأس، ويبول أحيانًا مائة مرة في يوم واحد!

هذه بعض الأجوبة المختصرة على بعض شبهات القاديانية:[1]

k «**إن سنة الله العامة الشاملة لجميع بني آدم أن يعيشوا في الأرض، فكيف خرج عيسى بن مريم من**

(١) من بحث «التوضيح لإفك الأحمدية القاديانية في زعمهم وفاة المسيح» لصالح بن عبد العزيز السندي.

هذه السنة المستمرة؛ كما يزعم البعض؟!».

والجواب: إن الذي شاء هذه السنة وأوجدها قادرٌ على أن يستثني منها من شاء، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه! وهل بقاء عيسى عليه السلام حيًّا في السماء بأعجب من ولادته من أم بلا أب؟ أليس في هذا مخالفة للسنة الكونية كما تزعمون؟ وكل جواب تجيبون به على هذا الإيراد هو جوابنا عليكم في قولكم.

k **«ولقد أبطل الله هذه العقيدة في قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[يس:٣١]، أي: الموتى لا يرجعون إلى هذه الدنيا أبدًا، فكيف يرجع عيسى بن مريم؛ خلافًا لما قال الله؟».**

والجواب:

أولًا: إن هذه الآية تخاطب الكفار بالاتعاظ بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل؛ كيف لم يكن لهم إلى الدنيا كرة ولا رجعة، هذا معنى الآية.

ثانيًا: الآية تتحدث عن الموتى، والمسلمون يقولون: إن عيسى عليه السلام حي لم يمت، فالدليل ليس في محل النزاع؛ فسقط الاستدلال.

ثالثًا: أن الله -تعالى- إذا شاء إرجاع من مات إلى الحياة مرة أخرى؛ فإنه يكون، ولا يعجزه شيء سبحانه!

ألم يسمع هؤلاء ما أخبر الله به في كتابه من إحياء عيسى عليه السلام الموتى -بإذن الله-، بل أعظم من ذلك أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرًا -بإذن الله-؟ أو أنهم لا يؤمنون بذلك؟

وهذا الجواب على سبيل التنزل في الجدال، وإلا فعيسى عليه السلام لم يمت -كما تقرر آنفًا-.

k **«لو كان من الممكن رجوع نبي من الأنبياء إلى هذه الدنيا؛ لكان نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أولى وأجدر بأن يرسل مرة ثانية؛ لكماله، وفضائله، وتفوقه على سائر الأنبياء عليهم السلام».**

والجواب:

أولًا: هذه الشبهة مغالطة مكشوفة؛ لأن الكلام ليس في رجوع نبي بعد موته، وإنما في نزوله وهو حي إلى الأرض؛ فسقطت الشبهة من أصلها.

ثانيًا: لا يلزم من أفضلية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء أن يثبت له جميع ما يقع لإخوانه من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من الدلائل والبراهين التي تسمى: المعجزات، وإلا فطرد كلامهم يلزم منه عدم صحة ما جاء في القرآن من أن عيسى عليه السلام كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى -بإذن الله-؛ لأن ذلك لم يقع لنبينا عليه الصلاة والسلام، ومثل ذلك يقال عن عصا موسى عليه السلام، وغيرها من آيات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وكل جواب لهم على هذا الإيراد؛ هو جوابنا عليهم في شبهتهم.

ثالثًا: أن فيما قدره الله -سبحانه- من رفع عيسى حيًّا ثم نزوله في آخر الزمان حكمًا عظيمةً، منها: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه عليه الصلاة والسلام، وأنه هو الذي يقتلهم ويقتل الدجال معهم.

k **«لقد رُفع عيسى بنفس الطريقة التي رُفع بها الأنبياء الآخرون، فقد قال الله عز وجل في شأن إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم:٥٧]، ونفس المعنى لرفع عيسى عليه السلام في الآية الكريمة: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، فليس هنالك ذكر للفظ**

السماء، وكل ما تدل عليه هذه العبارة: أن الله سوف يفشل خطة اليهود بقتل عيسى عليه السلام على الصليب؛ ليثبتوا أنه -والعياذ بالله- ملعون من الله، وسوف يرفع درجته ويجعله من المقربين، ورفعت روحه؛ كما رفعت أرواح الأنبياء الآخرين».

والجواب:

أولًا: أن لأهل العلم بالتفسير أقوالًا عدةً في تفسير قوله تعالى عن إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: ٥٧]، فمن أهل العلم من قال: إن الله عز وجل رفعه حيًّا إلى السماء ومات بها، وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما من السلف، فعلى هذا تكون الآية دليلًا عليهم لا لهم.

وقيل: المقصود: رفعه في الجنة، والجنة -ولا شك- سيدخلها بجسده وروحه، وذكر الفعل الماضي لا يشكل على هذا؛ إذ هو من باب تأكيد الوقوع؛ كقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[الزُّمر:٧٣]، وعلى هذا فلا يستقيم الاستدلال.

ثانيًا: لو سُلِّم بأن المراد من الآية: رفع الدرجات والمنزلة في حق إدريس عليه السلام، فلا يلزم أن يكون ذلك مدلول الآيات الواردة في عيسى عليه السلام؛ لأنها صريحة في رفع الجسد والروح معا، لما يأتي:

أ- أن الله -تعالى- قيد هذا الرفع بأنه إليه؛ حيث قال: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ﴾، ومن المتقرر في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أن الله -تعالى- في العلو، فيكون رفعه عليه السلام إلى السماء، بخلاف الرفع في حق إدريس عليه السلام؛ فإنه مطلق: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ويدرك الفرق بين الأسلوبين كل من شم للغة العربية رائحة.

ب- أنه لو سُلِّم بأن الآية تحتمل معنى رفع المنزلة والمكانة؛ فإن الأحاديث الواردة في هذا الموضوع صريحة المعنى وقاطعة الدلالة على أن الرفع كان للروح والجسد معًا، وكذا النزول آخر الزمان، ففي «الصحيحين» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير**» البخاري (٤/١٣٤)، ومسلم (١/١٣٥)، وفي «صحيح مسلم» (٤/٢٢٥٣) أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**...إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين** [أي: ثوبين مصبوغين]، **واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ...**».

والأحاديث في هذا بالعشرات، فهل يُقال بعد ذلك: إن هذا الرفع كان للروح فقط؟ ولو كان المقصود برفع عيسى: رفع روحه؛ كما جاء في الرسالة، فما هي الميزة لعيسى عليه السلام؟ إذ سائر المؤمنين إذا قُبضت أرواحهم عُرج بها إلا السماء!

ج- أن قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء: ١٥٧-١٥٨] دليل واضح كالشمس على ما تقرر آنفًا؛ مما يؤمن به المؤمنون قاطبة، فقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ يدل على أن رفعه كان للبدن والروح؛ إذ لو أريد موته لقيل: وما قتلوه وما صلبوه، بل مات، وهذا واضح تمام الوضوح لمن تأمل، وكان ذا بصيرة وحسن قصد.

k «**كما أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه ليلة المعراج في الموتى**

مع يحيى عليه السلام».

والجواب: كون النبي ﷺ رآه في السماء مع يحي على أي شيء يدل؟ وما المانع أن يكون حيًّا بجسده وروحه في السماء؛ وسائر الأنبياء بأرواحهم؟ وهل تقاس هذه الأمور الغيبية على الأمور المشاهدة؟

إن على المؤمن الذي آمن بالله ربًّا، وبالنبي ﷺ نبيًّا، وبالإسلام دينًا أن يؤمن ويُسلِّم بكل ما جاء في الوحي الشريف؛ دون الدخول بعقله فيما لا يدرك، وإلا فيلزم القاديانيين أن يكذبوا بالمعراج من أصله؛ إذ كيف عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء، وسلّم على الأنبياء وخاطبهم؛ وهو حي وهم أموات؟ فكما يقولون في هذا فليقولوا في ذاك.

k **«واعلموا أن القرآن المجيد لا يسمح لأحد أن يصعد إلى السماء بجسده ثم ينزل منها، ألا تعلمون أن الكفار طالبوا النبي ﷺ أن يرقى في السماء وينزل عليهم كتابًا يقرؤنه دليلًا على أنه صعد إلى السماء،** فرد الله عليهم: ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً**﴾[الإسراء:٩٣]، **فلو كان الصعود إلى السماء بالجسد ممكنًا لبشر لكان النبي ﷺ أولى وأجدر أن يصعد إلى السماء أمام أعين الكفار ليؤمنوا به، فالأمر الذي لم يجز لأفضل الرسل محمد ﷺ كيف جاز لعيسى بن مريم عليه السلام؟!...».**

والجواب:

أولا: لقد ادعوا أن القرآن لا يسمح لأحد أن يصعد إلى السماء بجسده ثم ينزل منها؛ فيقال لهم: ماذا تقولون في معراج النبي ﷺ؟! أليس صعودًا إلى السماء ثم نزولًا منه؟ وجماهير المسلمين على أن ذلك كان بجسده وروحه، هل سيسلمون بذلك -كحال المسلمين- فتنقطع حجتهم؟ أم سيبادرون بالإنكار والتأويل -كعادتهم- فينكشف أمرهم للمسلمين أكثر؟!

ثانيًا: أن الدعوى أعم من الدليل؛ فلا يستقيم الاستدلال؛ بمعنى: أنه إذا سُلم أن الآية تدل على الامتناع؛ فإنها واردة في شأن أمرين: صعود إلى السماء مع تنزيل كتاب يُقرأ، والبحث ها هنا في قضية واحدة، وهي: الصعود، فلا يلزم أن يكون ذلك ممتنعًا.

ثالثًا: هل عدم الاستجابة يدل على امتناع تحقق المطلوب؟ لا شك أن كل مسلم سيجيب بالنفي؛ فإن الله -تعالى- لا يعجزه شيء، وهو على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.

يوضح ذلك أن النبي قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾[الإسراء:٩٣]، ولم يقل: وهل يمكن أن يقع ذلك؟ أو نحوه، بل إن قوله ذلك يدل على أن المطلوب أمر لا يمتنع وقوعه، وإنما الأمر لله -سبحانه- الفعال لما يريد، إن شاء أجاب إلى ما سألوا، وإن شاء لم يجب، وما هو إلا رسول يبلغ رسالات الله وينصح لهم.

رابعًا: إن كان يمتنع -كما يزعمون- الصعود إلى السماء؛ فليمتنع -أيضًا- ما ورد في السياق نفسه: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا﴾[الإسراء:٩٠-٩١] إلى أن قال: ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء﴾[الإسراء:٩٣] الآيات، فليقولوا باستحالة تفجير الينابيع من الأرض، وأن القرآن يمنع من ذلك! وليكونوا ضحكة العقلاء!!

أولا يعلمون أن موسى عليه السلام ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، وأعظم من ذلك: أن

النبـي ﷺ نبـع المـاء مـن بـين أصـابعه عليه الصلاة والسلام، فـإذا أمكن ذلك؛ فلماذا لا يمكن الصعود إلى السماء؟!

k «**أن عقيدة وفاة عيسى تمسك بها صلحاء الأمة وكبراء علمائها**».

وعددوا منهم أربعة عشر اسمًا فقط! ولا أدري عن بقية علـماء الأمـة؛ مـا مـوقفهم مـن هـذه القضـية في نظـر القاديـانيين؟ ومـا مـوقفهم مـن العلـماء الكثـر الـذين نقلـوا إجماع العلماء على رفع عيسى ونزوله من السماء؟

k «**واعلمـوا أن أكثـر الأحاديـث الـواردة في شـأن الدجال، ونزول المسيح ابن مريم، وعلامات ظهوره؛ إنــما هــي كشــوف ورؤى للنبــي ﷺ، ولا يمكــن أن تحمل على ظاهرها، وأكثرها تتطلب التأويل، ولفظ (ابن مريم) الوارد في الحديث إنما هو اسم وصفي أُطلق على رجل تقي مؤمن؛ كما استعمل اسم ﴿امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾، و﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ وصفًا لكل مؤمن في القرآن المجيد**».

الجواب: لو سُلم جدلًا أن أكثر الأحاديث الواردة في هـذا الموضـوع إنـما هـي كشـوف ورؤى؛ أليسـت رؤى الأنبياء وحي؟ أو أنهم لا يؤمنون بذلك؟!

وماذا عن القليل -الذي هو سوى الأكثر- ما حاله عندهم؟

وإذا كـان أكثـر الأحاديـث يتطلب التأويـل، فكيـف سيصنعون بأقلها؟

لقـد اتضـح لأهـل الإيـمان أن النصـوص الشرعيـة أصبحت نهبًا عند هـؤلاء النـوكى؛ فيحـورون ويؤولـون، ويصرفون ويبدلون كما يشاؤون؛ فابن مريم في الحديث ليس النبي المعروف، وامرأة فرعون ومريم بنت عمران وصف لكل مؤمن!

وعلى هذه القاعدة -التي يُصرف بها عن معناه كل ما لا يوافـق الأهـواء- يمكـن أن يقـال: إن النصـوص الـواردة في الصـلاة لـيس المقصـود بهـا الصـلاة المعروفـة؛ وإنـما شيء آخر، وكذا نصوص الزكاة والصوم، أما الحج فليس عـلى ظـاهره، ونصـوص المعـاد لا يـراد بهـا حقيقتهـا، بـل النبي محمد ﷺ لا يُراد بكل النصوص التي ورد فيها ذكر اسمه ذاته الشريفـة، وإنـما يـراد ببعضـها: رجـل صـالح مـن أمته!..

وهكذا أصبح الإسلام وأدلته ألعوبة بأيدي القاديانية الأحمدية، فقاتلهم الله أنى يؤفكون!

فالمراد من نـزول عيسى بن مريم: «بعثة رجل آخر مـن أمـة المصـطفى ﷺ يشبه عيسـى بـن مـريم في صـفاته، وأعماله، وحالاته، وقد ظهر هذا الموعود في قاديان الهند باسـم: ميـرزا غـلام أحمـد، إمامًـا مهـديًّا، وجعلـه الله مثيـل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فكان هو المسيح الموعود والإمام المهدي للأمة المحمدية...» إلى آخر ذاك الهراء!

المراجع:

] بحـث «التوضـيح لإفـك الأحمديـة القاديانيـة في زعمهم وفاة المسيح» - صالح بن عبد العزيز السندي.

] مقالة «الرد على القاديانية .وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ» - محمد إسماعيل عتوك.

] كتاب «البراهين القطعية في الرد على القاديانية» - أبو بكر أحمد الكاندبرمي.

] وبعض الأبحاث من شبكة الإنترنت.

سفارات وهدايا بين الفاطميين والصليبيين

هيثم الكسواني

تعتبر فترة الحروب الصليبية من أصعب الفترات التي مرت على العالم الإسلامي، فمنذ أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بدأت تتقاطر على العالم الإسلامي -وخاصة بلاد الشام، وما جاورها- الحملات تلو الحملات التي قتلت المسلمين، وخرّبت ديارهم، ونهبت خيراتهم، ونشرت في بلادهم الذعر والقلق.

كانت القوى الإسلامية في ذلك الوقت موزّعه بين الخلافة العباسية الضعيفة، المعتمِدة على قوة الدولة السلجوقية المناصرة للعباسيين، لكن السلاجقة -وهم من الأتراك السنة- بدأ الخلاف يدب في دولتهم في أعقاب مقتل وزيرهم الفذ نظام الملك، ثم سلطانهم القوي ملكشاه، في سنة (٤٨٥هـ -١٠٩٢م).

أما القوة الأخرى؛ فكانت ممثلة بالدولة العبيدية الفاطمية، صاحبة المذهب الشيعي الإسماعيلي؛ التي كانت تسيطر حينها على مصر، وأجزاء من شمال أفريقيا، وبلاد الشام، وغيرها.

وفي الوقت الذي تصدى فيه السلاجقة للحملات الصليبية منذ بداياتها؛ رغم الخلافات التي أصابت دولتهم ومظاهر الضعف، جاء موقف الدولة الفاطمية مغايرًا لذلك؛ غابت فيه نجدتهم للمسلمين، أو الدفاع عن الإمارات الإسلامية؛ رغم القوة التي كانت تمتلكها، والاستقرار الذي كانت تنعم به، مقارنة بغيرها.

ويكاد المؤرخون يجمعون على أن العبيديين الفاطميين، ووزيرهم القوي -آنذاك- الأفضل بن بدر الجمالي؛ وجدوا في الحروب الصليبية على بلاد المسلمين فرصة سانحة للقضاء على دولة السلاجقة السنة، وتوسيع نفوذ العبيديين على حسابها، ولم يكن في بال العبيديين محاربة الصليبيين أو نجدة المسلمين.

يقول جمال بدوي: «جاءت الحملة الصليبية الأولى في ختام القرن الحادي عشر الميلادي، فدقّت آخر مسمار في نعش الدولة الفاطمية، وتسببت في ضياع هيبتها، وأسقطت القناع عن وجهها الحقيقي، فظهرت نواياها المعادية للإسلام والمسلمين في العالم السني، وفقد الفاطميون اعتبارهم الأدبي والمعنوي، ليس فقط لأنهم عجزوا عن التصدي للصليبيين، ولكن لأنهم تواطئوا معهم، وشجّعوهم على التوغل في بلاد الشام للقضاء على عدوهم المشترك؛ وهم الأتراك السلاجقة، وعقد الفاطميون اتفاقًا مع الصليبيين لاقتسام الشام بينهما، ولكن الفرنجة خدعوهم وشقوا طريقهم نحو الأماكن المقدسة في فلسطين؛ وهي الهدف الرئيسي للحملة»[1].

وفي سنة (٤٩١هـ - ١٠٩٨م) استطاع الصليبيون تأسيس أول إمارة لهم في الشرق الأدنى الإسلامي؛ وهي إمارة الرّها (بين الموصل والشام)، وفي العام نفسه أسسوا ثاني إماراتهم؛ وهي إمارة أنطاكية (شمال بلاد الشام، تتبع حاليًّا لتركيا)، وبدأ الصليبيون يلتهمون المدن الإسلامية

(١) «الفاطمية دولة التفاريح والتباريح» (ص١٣٨).

تلو الأخرى، والسلاجقة، والإمارات والأتابكيات التابعة لهم يحاولون صدّ الاعتداءات والحملات الصليبية.

وفي هذا الوقت العصيب لم تقف الخلافة الفاطمية صامتة متفرجة على الزحف الصليبي فحسب، بل كان موقفها مريبًا غامضًا مثيرًا للشكوك والدهشة، مما حدا بالمؤرخين المسلمين المعاصرين إلى اتهام أمير الجيوش الأفضل بالتقصير والتفريط، فيعجب ابن تغري بردي من هذا الموقف المريب، وهو أكثر المؤرخين تسامحًا، ووصف موقف الأفضل فقال: «ولم ينهض الأفضل إلى إخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال؟!»[1].

ليت الفاطميين ووزيرهم الأفضل اقتصر موقفهم على الصمت وعدم المساندة، بل إنه اتسم بالتآمر الصريح؛ إذ أن الوزير الأفضل عندما رأى اشتباك الصليبيين مع السلاجقة فكر في عقد تحالف مع الصليبيين، و«بعث بسفارة دبلوماسية محملة بالهدايا والنفائس إلى قادة الحملة الصليبية تعبيرًا عن مشاعر الود»[2].

أما بنود التحالف الذي عرضه الأفضل على الصليبيين، فتضمنت ما يلي:

١ - ينفرد الصليبيون بحكم أنطاكية وشمال بلاد الشام.

٢ - تحتفظ مصر (الدولة الفاطمية) ببيت المقدس وجنوب بلاد الشام.

٣ - يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، وتكون لهم الحرية الكاملة في أداء شعائرهم الدينية، على ألاّ تزيد مدة إقامتهم فيها عن شهر واحد، وألا يدخلوها بسيوفهم.

٤ - يتعاون الطرفان في القضاء على السلاجقة[3].

يظهر من البنود السابقة: «أن الأفضل قرَر أن يعمل ضد السلاجقة، لا ضد الصليبيين»[4].

أما الصليبيون؛ فقد تلقوا سفارة الفاطميين بالمودة والترحيب[5]، «ومكث الوفد الفاطمي في المعسكر الصليبي عدة أسابيع، عادوا بعدها إلى بلادهم، تتقدمهم سفارة صليبية تحمل الهدايا الوفيرة للتباحث مع الأفضل في الأمور التي اتفقوا عليها.

والجدير بالذكر: أن السفارة الفاطمية - قبل إبحارها إلى مصر - أرسل إليها الصليبيون حمولة أربعة جياد من رؤوس القتلى السلاجقة السنّيّين هدية لخليفة مصر (الفاطمي)، فأبدى أفراد السفارة سرورهم البالغ لذلك المشهد»[6].

«**أما عن العرض الفاطمي باقتسام الشام**؛ فإن الصليبيين لم يرفضوه، ولم يقبلوه، وتركوا البتّ فيه لمجرى الأحداث التي سوف تقع، مما يعطيك فكرة عن مهارة الصليبيين في المناورة والتمويه والخداع، فهم لم يلتزموا بشيء يعوقهم عن الوصول إلى هدفهم الأخير؛ الذي من أجله غادروا ديارهم في غرب أوروبا، وتحملوا المشاق والضنك والجوع طوال رحلتهم المضنية، وهو الوصول إلى الأماكن المقدسة في فلسطين»[7].

ولم يكن هذا هو الاتصال الأول بين الفاطميين

(١) «أثر الحركات الباطنية» (ص١٤٠).
(٢) «الفاطمية» لجمال بدوي (ص١٣٩).
(٣) «تاريخ الفاطميين» للدكتور طقوش (ص٤٢٧-٤٢٨).
(٤) المصدر السابق (ص٤٢٩).
(٥) «الفاطمية» لبدوي (ص١٣٩).
(٦) «أثر الحركات الباطنية» (ص١٤٠-١٤١).
(٧) «الفاطمية» (ص١٣٩).

العبيـديين والصـليبيين؛ إذ أن عـددًا مـن الأمـراء النُـبلاء الأوروبيـين الـراغبين بزيـارة القـدس كـانوا يتوجهـون مـن أوروبـا إلى الإسكندرية، ومنهـا يصحبهم الفـاطميون إلى ميناء يافا، ثم إلى القدس.

وكان الهدف من ذلك: حماية هؤلاء الأمراء من خطر السلاجقة إبان رحلة الذهاب والعودة من الإسكندرية إلى بيت المقدس[1].

استغل الوزير الأفضل الجمالي انشغال السلاجقة بمقاتلـة الفـرنج الصـليبيين، وأضـاف إلى خياناتـه خيانـة جديدة تمثلت بقيامه بأخذ صُور وبيت المقدس من أيدي السلاجقة بعد حصارهما أسابيع عديدة، الأمر الذي يدل عـلى مقـدار القـوة التـي كانـت تمتلكهـا الدولـة العبيديـة الفاطميـة؛ التـي اختـارت أن تسـتعمل هـذه القـوة ضـد السلاجقة السنة، لا ضد الصليبيين المعتدين.

يقـول د. طقـوش: «والواقـع أنـه تحقـق ظـن الـوزير الفاطمي، فالسلاجقة كانوا منهمكين بالغزو الصليبي لصدّ الهجوم الفاطمي، كما أن تهديده لفلسطين وبيت المقدس خدم القضيـة الصـليبية، لأنـه سبّب ارتباكًـا للسـلاجقة في أشد الأوقات حرجًا»[2].

وعندما كان الصليبيون يتجهون نحو القدس اختار الأفضـل الجمالي طريـق الـود والمحبـة معهـم، «وأرسـل عندئذٍ سفارة فاطمية قابلت قادتهم قرب طرابلس؛ تحمل الهـدايا النفيسـة، والأمـوال الضـخمة، وعرضًـا بالسـماح لحجاج الصـليبيين بـالحج وزيـارة كنيسـة القيامـة في بيت المقـدس عـلى شـكل مجموعـات مـن مـائتي أو ثلاثمائـة حاج، بشرط ألَّا يكونوا مسلحين»[3].

(١) «أثر الحركات الباطنية» (ص١٤١-١٤٢).

(٢) «تاريخ الفاطميين» (ص٤٣٠).

(٣) «تاريخ الفاطميين» (ص٤٣١).

«**رفـض الصـليبيون الاقـتراح**، وردّوا عـلى السـفارة الفاطميـة بـأنهم سـيتمكنون مـن الحـج فعـلًا كجـيش واحـد؛ ولـيس كجماعـة بـإذن الله، ولـيس بـإذن الخليفـة الفاطمي»[4].

وبعد احتلالهم للقدس؛ احتل الصليبيون عسقلان؛ آخر مدينة كانت بيد الفاطميين في بلاد الشام، ولم يأبه الصليبيون لاقتراحات الأفضل وسفاراته، ولم تنجح كل محاولاته فيما بعد لإعادة أملاك الدولة الفاطمية في بلاد الشام، فالخيانة ومعاونة الصليبيين ضد المسلمين لن تثمر سوى الألم والشوك، واغتيل الأفضل في رمضان من سنة (٥١٥هـ)، ومات يكلله العار.

لكـن الخيانـات العبيديـة لم تنتـهِ بمـوت الـوزير الأفضل، ذلك أن خيانة المسلمين ومعاونة الصليبيين نهج ثابت لـدى العبيـديين الفـاطميين؛ الـذين كـانوا في داخـل بلادهـم يعلـون مـن شـأن اليهـود والنصـارى، ويفضـلونهم عـلى المسـلمين مـن أهـل السـنة، وقـد جـاءت سياسـتهم الخارجية منسجمة مع الداخلية.

أما علاقات الفاطميين بالصليبيين بعد موت الأفضل الجـمالي؛ فنفصـلها في مقـال قـادم في هـذه الزاويـة -إن شاء الله-.

للاستزادة:

١ - «أثـر الحركـات الباطنيـة في عرقلـة الجهـاد ضـد الصليبيين» - يوسف إبراهيم الشيخ عيد.

٢ - «تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام» - د. محمد سهيل طقوش.

٣ - «الفاطميـة دولـة التفـاريح والتبـاريح» - جمـال بدوي.

(٤) المصدر السابق (ص٤٣١).



سيد القمني و«مركسة» الإسلام (باختصار)

منصور أبو شافعي «إسلام أون لاين» (٢٠٠٤/١٠/٩)

[سيد القمني الذي منح جائزة الدولة التقديرية بمصر لسنة (٢٠٠٩م)؛ من خلال سيطرة الماركسيين على وزارة الثقافة المصرية، وقد اعترف مؤخرًا بأنه يحمل شهادة دكتوراة مزورة!!] «**الراصد**».

سيد القمني باحث ماركسي في التراث، استطاع على مدى الخمسة عشر عامًا الماضية، وبأربعة عشر كتابا أن يضع مشروعه الفكري في قلب الخطاب العلماني؛ الذي سوقه باعتباره «فتحًا وكشفًا كبيرًا»، و«اقتحامًا جريئًا وفذًّا لإنارة منطقة حرص من سبقوه على أن تظل معتمة»، بل واعتبر «بداية لثورة ثقافية تستلهم وتطور التراث العقلاني في الثقافة العربية الإسلامية؛ ليلائم الإسلام (وليس التراث) احتياجات الثورة الاشتراكية القادمة».

ولم يقف التسويق العلماني عند هذا الحد؛ ففي حين لا يتورع عن أن يرى أن القرآن (الإلهي) «يجسد نصًّا تاريخيًّا» لا بد من وضعه «موضع مساءلة إصلاحية نقدية»، فقد تعدى هذا الإعلام نقطة الانحياز، وأغلق في وجه العقل باب مراجعة أو إمكانية نقد مشروع القمني؛ بحجة أن محاولة نقده «نقدًا موضوعيًّا أمر مستحيل»!! وهو ما أراه انهيارًا للعقل العلماني أمام مشروع د. القمني (الفكري - النسبي - البشري)؛ إذ القول باستحالة نقده يكاد يعني: «قداسة»! هذا المشروع و«تطهره من الخطأ»!!

وبدا أن القمني نفسه؛ والذي قيل عنه: «إنه واحد من العلماء الصارمين الذين يعتمدون العلم لا الأساطير»، يؤكد هذه القداسة ولا ينفيها؛ حين يقول عن نفسه: إنه في مشروعه الفكري عاين التراث «حيًّا بلحمه وشحمه ودمه» وقدمه «كما كان حقًّا»، وعلى كل؛ فقد مارس القمني حقه الكامل في السؤال، وفي البحث، وفي الإجابة في كتبه ومقالاته؛ التي يحوم بعضها حول المناطق الحساسة في التاريخ والعقيدة، وبعضها الآخر يقتحم -بلا حذر، وأحيانًا بتهور!- هذه المناطق، تحت ضغط أيديولوجي فاقع، اضطره -في أغلب كتاباته- إلى التضحية بالمعلوم بالضرورة في كتب مناهج البحث العلمي عن «نقد الأصول»، وإلى اعتماد «الأساطير»؛ سواء التراثية أو حتى الاستشراقية، بحجة -كما قال وأكد- أن «مهمتنا (مهمته) أبدًا ليست تدقيق معلومة يعطيها لنا علماء»، وأن «المعلومات سواء كانت خطأً أم صوابًا فهي ذلك المعطى الجاهز لنا من أهل التاريخ».

مشروع مادي:

وللأهمية القصوى نبدأ بإثبات تعريف القمني لنفسه بقوله: «أنا مادي»، ومن المهم كذلك إثبات حقيقة أن الفارق الجوهري (الفلسفي) بين الموقف «المثالي» والموقف «المادي» في «ألف - باء» ماركسية، يتلخص في أن:

الأول: يقول بـ «أولية الله على المادة في الوجود»، وبالتالي فهو يؤمن بوجود إله خالق للكون وللطبيعة وللإنسان، وبأن العلاقة بين الله (الخالق) والإنسان (المخلوق) يمكن أن تكون في شكل رسالة (وحي) ورسول (نبي - بشري).

وأما الثاني؛ فيقول بـ «أولية المادة على الله في الوجود»، وبالتالي فهو حسب «المادية الديالكتيكية» لا يؤمن بوجود موضوعي حقيقي لله، ومن ثَم -وهذا طبيعي- لا يذهب إلى إمكانية وجود علاقة (سواء في شكل دين أو وحي) بين إله (غير موجود عنده أصلًا) وبين إنسان هو الخالق الفعلي لله.

وحسب «المادية التاريخية»؛ فـ «المادي» لا بد أن يبحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للإنسان عن وجود وتطور فكرة الله والدين.

وهذا ما حاول القمني الالتزام به في مشروعه الفكري الذي رفض فيه ما أسماه بـ: «الرؤى الأصولية» التي تقول بأن الإسلام «مفارق سماوي»؛ لتناقض هذا القول «الأصولي» أو «المثالي» مع «مادية» القمني التي تقول بـ: «إنه لا شيء إطلاقًا يبدأ من فضاء دون قواعد مؤسسات ماضوية يقوم عليها ويتجادل معها، بل ويفرز منها؛ حتى لو كان دينًا».

والذي حاول فيه (ومن خلال دراسته للأديان عمومًا، وللإسلام خصوصًا) إثبات أن «فكرة التوحيد» هي الأخرى لا تأتي من فراغ، ولا تقفز فجأة دون بنية تحتية تسمح بها؛ لأن هذا القفز الفجائي يخالف منطق التطور وشروطه المجتمعية والاقتصادية والسياسية -حسبما تعلم- في فلسفة التاريخ وقوانين الحراك الاجتماعي».

تفسير ماركسي:

ولاعتقاد القمني (الماركسي - المادي) أن الإسلام مجرد «إفراز» أفرزته «القواعد الماضوية» (الجاهلية)، ولأنه -حسب الرؤية المادية- لا يمكن تفسير الظهور التاريخي للإسلام (كبناء فوقي) وفقًا لوعي الإسلام المثبت في قرآنه، بل ينبغي تفسيره بتناقضات الحياة المادية (كبناء تحتي)؛ لذلك فقد رجع القمني في دراساته عشرات الأعوام في عمق الحقبة الجاهلية؛ لينقب في وقائعها عن جذور «جاهلية» لمثلث (الرسول - الرسالة - الدولة).

ولكن ليقين القمني أن اللحظة التطورية (الاقتصادية - الاجتماعية) في الزمن الجاهلي لحظة بدائية أو بدوية لن تسعفه وقائعها في «جهلنة» المثلث الإسلامي، خصوصًا أن هذه الوقائع -في رأيه- قد تم «أسطرتها» بزيادة هائلة ومكثفة «عند تدوين التراث الإسلامي في سجلات الإخباريين»، فلم يبدأ القمني دراسته للقواعد الماضوية بنقد الوقائع المدونة في سجلات الإخباريين لتخليصها من النسبة الأسطورية «الهائلة والمكثفة» في معلوماتها، وإنما -وعن قصد- تخلى عن عقله النقدي، وتجنب الوقائع العقلانية في السجلات التراثية، وذلك ليوسع رقعة «الأسطرة» كضرورة أيديولوجية؛ وليست علمية تمكنه من تفكيك المثلث الإسلامي، وإعادة ترتيبه ليكون الإسلام (الرسالة) مجرد «إفراز» أرضي؛ وليس وحيًا سماويًّا.

تحت ضغط هذه الغاية اعتمد الدكتور ما أسماه بـ: «المعطى الجاهز له من أهل التاريخ» عن الصراع الهاشمي الأموي قبل البعثة الإسلامية، ورغم أن سبب هذا الصراع -كما سجله الطبري (مرجع القمني)- أن

هاشم بن عبد مناف أطعم قومه الثريد، «فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف -وكان ذا مال- فتكلف أن يصنع صنيع (عمه) هاشم، فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش، فغضب (أمية)، ونال من هاشم»، ورغم أن أغلب الكتب التراثية التي روت واقعة الصراع قدمت معلومات تشكك في حقيقته، منها أن «هاشم توأم عبد شمس»، و«كان لهاشم يوم مات خمس وعشرون سنة»، أي: وكان لعبد شمس يوم مات «توأمه» خمس وعشرون سنة، وهي معلومة -كما نرى- تثير تساؤل: كم كان سن أمية يوم مات عمه أخو أبيه وتوأمه؟ (خمس سنوات أو حتى عشرة)، بل ورغم أن ابن إسحاق، وابن هشام، وابن سيد الناس، وابن كثير سكتوا عن مجرد الإشارة إلى هذا الصراع في مؤلفاتهم التي تصنف ككتب «أصول»، فقد تجاهل القمني كل ما سبق! حتى لا يشك في تاريخية هذا الصراع الذي انتقاه ليكون «القاعدة الماضوية» والمحرك للمجتمع المكي على جسر «الدين» نحو «الدولة».

أيديولوجيا تأسيس الإسلام!

وبدون دخول في تفاصيل كثيرة، أو تعليق على عشرات الأخطاء «الطلابية» التي امتلأت بها معالجة القمني لمراحل وتطور هذا الصراع؛ فالذي يجب رصده أن «الحزب الهاشمي» في بدايات تأسيسه لم يكن فاعلًا بشكل جذري؛ لأنه -في أهدافه (سواء في زمن قيادة هاشم، أو في زمن قيادة شقيقه المطلب)- كان ملتزمًا بخط «قصي» (الجد)، ويكاد يدور في دائرته؛ لذلك كان الصراع يحل سلميًّا «حرصا على المصالح التجارية، وما سبق أن حققه عمه «المطلب» الذي رحل تاركا له استكمال المهمة الجليلة»، فقد نقل الصراع مع أبناء عمومته (الحزب الأموي) من المناوشات المحدودة إلى المواجهة الشاملة»، وبتعبير القمني: «من التكتيك إلى الأيديولوجيا».

ولأن عبد المطلب -كما يقول القمني- تربى في يثرب؛ «حيث كان كل التاريخ الديني يتواتر هناك في مقدسات اليهود»، وحيث كانت حكايات اليهود «عن مغامرات أنبيائهم القدامى، وعن دولتهم الغابرة التي أنشأها النبي داود»، فقد أتى من يثرب إلى مكة بالمشروع الإسرائيلي (اليهودي) بمثلثه (العرقي - الديني - السياسي)؛ ليهتدي به في «مهمته الجليلة» بـ «وضع أيديولوجيا متكاملة لتحقيق أهداف حزبه الهاشمي».

أولًا: أرجع النسب العربي من نسب أسلاف القبائل المتفرقة إلى التوحد في «سلسلة النسب الإسرائيلية»، وأعلن «أن العرب -جميعًا- وقريشًا -خصوصًا- يعودون بجذورهم إلى نسب واحد، فهم برغم تحزبهم وتفرقهم أبناء لإسماعيل بن إبراهيم».

ثانيًا: بعد «قراءة» للواقع العربي المتشرذم تمكن عبد المطلب من «تحديد الداء (المكي - العربي)، ووصف الدواء»، والداء فرقة قبلية عشائرية، والأسباب تعدد الأرباب وتماثيل الشفعاء، «ومن هنا انطلق عبد المطلب يضع أسس فهم جديد للاعتقاد»، و«انطلق يؤسس دينًا جديدًا يجمع القلوب عند إله واحد».

ثالثًا: وبإزالته أسباب «الفرقة القبلية» لم يكتف عبد المطلب -في رأي القمني- بتبشير قومه بـ «إمكان قيام وحدة سياسية بين عرب الجزيرة تكون نواتها ومركزها مكة تحديدًا»، لكنه عمل -أيضًا- على ملء المساحة الفاصلة بين نقطة الوسيلة (الدين)، ونقطة الغاية (الدولة) بحركة جماهيرية تكون بمثابة الجناح الديني للحزب الهاشمي، وهو ما حدث فعلًا في رأي القمني، «فقد آتت

مخططات عبد المطلب ثمارها، واتبعه كثيرون» كوّنوا حركة الحنفاء، «حتى شكلوا تيارًا قويًّا؛ خاصة قبل ظهور الإسلام بفترة وجيزة»، وكان عبد المطلب هو «أستاذ الحنيفية الأول»، و«الرجل الأول» في هذا التيار.

رابعًا: ولأن المشروع الإسرائيلي هو المرجع، ودولته «التي أنشأها النبي والملك داود» هي النموذج، ولأن عبد المطلب التزم في «استكماله للمهمة»، وفي «وضعه للأيديولوجيا» الهاشمية بخطوط التجربة الإسرائيلية؛ فقد انتهى إلى «أنه لا حل سوى أن يكون منشئ الدولة (العربية) المرتقبة نبيًّا مثل داود».

خامسًا: بالوصول إلى حل «النبي الملك» أو «الملك النبي» كحل سبق تجريبه، وحقق توحيد «أسباط» اليهود في «دولتهم الغابرة»، وليبقى أمر التنفيذ -كما في أمر التخطيط- محصورًا في البيت الهاشمي، فقد ذهب د. القمني إلى أن عبد المطلب زعيم قريش وقائد الحزب الهاشمي سلَّم عقله ويداه لـ «الحبر اليهودي»؛ ليشاهد ويشهد «أن في إحدى يديه ملكًا، وفي الأخرى نبوة»، وليرشده (بعد قراءة الكف) بحتمية زواجه من بني زهرة «لأن فيهم الملك والنبوة»، وسارع عبد المطلب بالزواج -هو، وابنه عبد الله- من بني زهرة في ليلة واحدة.

بالتحول «الانقلابي» و«الثوري» للصراع الهاشمي الأموي من صراع ساذج على «إطعام قريش الثريد» -كما في الخبر التراثي- إلى صراع حضاري غير مسبوق في التاريخ، وبوضعه لـ «الأيديولوجيا» الهاشمية استطاع عبد المطلب «ذاك العبقري الفذ» أن يغير -بجذرية- ليس فقط الواقع العربي الجاهلي، وإنما -أيضًا- كل المستقبل الإنساني بدوره «التأسيسي» للدين (الحنيفية - الإسلام)، وللدولة (العربية - الإسلامية)، ولنبوة حفيده محمد.

قراءة نقدية لكتابات القمني عن القرآن

منصور أبو شافعي «إسلام أون لاين» (٢٠/٧/٢٠٠٩)

هذه الدراسة تضع شكًا معرفيًّا في منهجية وعلمية سيد القمني، ففي كتابات عديدة هاجم القمني من أسماهم بـ: «المتفقهين من أهل شئون التقديس، المستفيدين من الدين في مواقعهم الاجتماعية»، والذين يرفعون القاعدة التليدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)؛ «لتشغيل القرآن ورب القرآن حسب الحال المرغوب، ينتهزون به النهز، ويستنبطون منه حسب الطلب شهادات الشرعية للمواقف السياسية المتقلبة من النقيض إلى النقيض»، وأكد أن الذي «أعطى رجال الدين هذه الفرص والنهز» التي مكنتهم من «اختطاف القرآن وتحنيطه» هي: «طريقة جمع المصحف التي اتبعتها اللجنة التي شكلها الخليفة عثمان بن عفان برئاسة زيد بن ثابت».

وأخذ الدكتور على هذه اللجنة أنها «لم تراع الترتيب الزمني للآيات، والأحداث، ولا جمعت الآيات -مثلًا- حسب نوع الموضوع؛ كجمع الآيات القانونية معًا، والعبادية معًا، والتسبيحية معًا، والإرشادية معًا»، إنما اتبعت (اللجنة) أسلوبًا يبدأ بأطول السور ويتدرج حتى ينتهي بأقصرها، علمًا أن قصار السور كانت هي الأولى زمنًا، فتجد سورة مدنية تعقبها مكية، تعقبها مدنية، وتتضمن السورة الواحدة خلطًا بين ما هو مكي وما هو مدني، وإذا المنسوخ يتلو الناسخ، وآيات تبحث في مواضيع لا رابط بينها، مما كان سببًا للتخبط وسوء الفهم عند المسلم العادي، ووسيلة للانتهازية بسوء النية عند القائمين على شئون التقديس في بلادنا؛ الذين (كما يقول الدكتور) «يعلمون يقينًا أن ترتيب السور والآيات كان

عمل البشر، ولا يتمتع بأية قدسية، ولم تذكر كتب السير أن الوحي نزل على زيد بن ثابت ولجنته ليرتبوها (الآيات والسور) على شكلها الحالي، وهكذا ظل الحال دون أي محاولة لإعادة النظر، واتباع طريقة علمية في ترتيب المصحف عن قصد مبيت، وتم إكساب الشكل قدسية المضمون مع إغلاقه بالضبة، ووضع المفتاح بيد فقهاء السلطان».

انتهاء صلاحية القرآن:

ويطالب الدكتور بـ «رفع رجال الإكليروس الإسلامي يدهم عن الإسلام، والتوقف عن التحريم والتكفير؛ حتى يمكن إعادة النظر، والترتيب، والتصويب؛ دون خوف اتهامات المروق والتخوين»، ويضيف: «على المسلم المؤمن قبول القرآن (ليس كما هو في المصحف)، وإنما كما كان في تاريخيته، تلك التاريخية التي يرفضها الإكليروس؛ ليظل دينًا خارج الزمان والمكان، وخشية الاعتراف بتطوره مع المتغيرات (...)، مما قد يؤدي إلى إنكار المصدر الإلهي للقرآن، كما لو كان أحفظ عليه من الله (!)، إضافة إلى الحرص التقليدي العجيب على مبدأ صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، وهي التي تعني -عندهم-: تثبيته، وتحنيطه، وإجبار الواقع المتغير على الاتفاق مع القرآن وهو ثابت»!!

«**وقد وضح لكل ذي عقل -كما يقول الدكتور-** أن الواقع يجهر بانتهاء هذه الصلاحية بهذا المفهوم على يد رجال الدين لعدم تحركها مع الزمن... ، (والتي) تعلم الناس الكذب بالدين وللدين»!! لذلك فقد انتهى الدكتور إلى «أن الصلاحية الحقة تكون بفك لفائف التحنيط عن المقدس ليتكيف مع الواقع -وهو درس الإسلام الأول للأوائل-، وليس العكس، فقانون الحياة والكون هو التغير الدائب الذي لا يمكن لأحد إيقافه عند نقطة زمنية لا يريد أن يريم عنها حراكًا، ولا سبيل سوى أن نتحرك عن ترتيب ما بأيدينا (من قرآن)، وفهمه (بعد إعادة ترتيب آياته وسوره) وفهم ظرفنا الآني».

ورغم أن د. القمني وصف ما قاله -ونقلناه- بـ «الحقائق»، ووصف من سيقبلها بـ «المسلم العارف» و«المسلم المؤمن»، ووصف من «ستزعجه» هذه «الحقائق» (القمنية) بالذي «يستخدم الإسلام وسيلة للكسب، والمناصب، والوجاهة، والقرب من السلطان، أو اقتناص هذا السلطان»[1]، وهي -كما نرى- لغة أقل ما توصف به أنها غير علمية، ورغم إمكانية رد ما قاله د. القمني -ونقلناه- إلى أصول استشراقية قصد أصحابها -بما قالوه- التشكيك في إلهية النص القرآني ذاته، فإن بحثي أوصلني إلى معلومات شككتني بقوة في جدية دكتور القمني كباحث، وفي علمية كتاباته، وما توصلت إليه؛ (سواء في كتابات سابقة -للأسف- تهرب الدكتور من مناقشتها، أو في الكتابات الحالية)، يضطرني لقبول أو رفض ما قاله د. القمني عن حتمية إعادة النظر في جمع وترتيب آيات وسور المصحف، إلى مراجعة مدى جدية وعلمية موقفه (المادي) من القرآن ذاته، وهل هو نص إلهي مقدس؟ أم هو نص بشري يمكن إرجاع لغته ومضمونه إلى منابع بشرية؟ وهذا يحتاج منا إلى بذل كل ما نستطيعه من جهد، ويحتاج من د. القمني لممارسة حقه الكامل في الاختلاف، مع ما سنتوصل إليه من نتائج نعتقد أنها «صواب يحتمل الخطأ»، ويحتاج من القارئ بعض الصبر حتى نتواصل مع ما سبق.

---

(١) «مجلة الأدب» - أدب ونقد، العدد (٢٠١)، (ص٣٤ -٣٥).

القمني.. والقرآن:

ولنبدأ في دراسة موقف د. القمني من «القرآن»، أرى -لنقترب كثيرًا من عمق هذا الموقف- أن نبدأ بتأمل ما كتبه هذا الدكتور في كتابه «الحزب الهاشمي، وتأسيس الدولة الإسلامية» عن «وعي عبد المطلب بن هاشم السياسي، وبعد نظره وحسه القومي في قيادته وفدًا إلى اليمن برفقة ابن أخيه أمية بن عبد شمس -قبل النزاع المشار إليه-، وحلفائه أبي زمعة جد أمية بن عبد الله بن أبي الصلت -وسيكون لأمية هذا شأن-، وخويلد الأسدي بن أسد بن عبد العزى، ومن الواجب ملاحظة امتداد ذلك التحالف في زواج حفيد عبد المطلب (النبي محمد) من السيدة خديجة بنت خويلد الأسدي»[1].

ولأن د. القمني -على غير الحقيقة- وصف طبعات كتابه (خصوصًا طبعته في مجلد «الإسلاميات») بـ «المنقحة»، والمعروف أن التنقيح هو: «التشذيب والتهذيب»، و«نقح الكلام: فتشه، وأحسن النظر فيه، وقيل: أصلحه وأزال عيوبه»[2]، **فمن الواجب ملاحظة:**

أولًا: أن ما قاله د. القمني وكرره عن علاقة عبد المطلب بن هاشم بأمية بن عبد شمس «ابن أخيه أمية»، وعن تبريره لذهاب أمية مع عبد المطلب إلى اليمن بـ «قبل النزاع المشار إليه» هو -بدون تحامل- قول لا يصدر عن باحث عاقل! لأن الثابت ليس فقط في «سجلات الإخباريين» التراثية بل في كتابات د. القمني نفسه أن عبد شمس بن عبد مناف (والد أمية) هو «أخو» (أي شقيق) هاشم بن عبد مناف (والد عبد المطلب)، وأن «النزاع المشار إليه» الذي نراه مجرد أسطورة، ويلح د. القمني على تحويله لحقيقة! كان -كما قال د. القمني نفسه- بين «أمية وعمه هاشم»، ويصر الدكتور على دقة وصواب ما قاله وكرره، فهل ننتظر منه حذف وقائع الصراع بين هاشم وابن أخيه أمية من كل كتاباته، وإسقاط شخصية هاشم من التاريخ؛ ليحل محله ابنه عبد المطلب في «عمومته» لأمية؟ وهل ننتظر منه نقل «نزاع» و«صراع» و«ثورة» أمية من زمن هاشم «الخرافي»؛ ليوضع في زمن عبد المطلب «الحقيقي»، وليكون مع وضد عبد المطلب و«بعد» رحلته «القومية» إلى اليمن التي كانت «بعد مولد رسول الله ﷺ بسنين»؛ كما اتفقت السجلات الإخبارية «التي روت خبر الرحلة»؟

أم أن هذا الدكتور وتبريره دقة وصواب ما قاله وكرره سيعيد «تنقيح» تاريخ هذه الرحلة بجعل عبد المطلب شقيقًا لأبيه هاشم؛ ليكون -أيضًا- شقيقا لعمه عبد شمس، وبهذا «التنقيح» يكون عبد المطلب عما لأمية؟ أم أن الدكتور سيعيد «تنقيح» تاريخ هذه المرحلة بتجاهل ما قاله «هو» في نفس الكتاب عن موت هاشم وتركه «لولده عبد المطلب (ابن سبع سنوات وقيل ثمان) ينمو ويربى ويرضع الفروسية بين أخواله» في يثرب»[3]!!

والحقيقة؛ ولأن د. القمني في نفس كتابه -وبعد رؤيته الخارقة- أمات عبد شمس قبل هاشم، والثابت أنه مات بعده، وبنفس قدراته الخارقة جعل نزاع أمية مع عمه هاشم «بعد رحيل والده عبد شمس عن الدنيا»، والثابت في «سجلات الإخباريين» أن نزاع أمية كان في حياة والده[4]، فأنا أكتفي بوضع علامة تعجب!!

(١) د. القمني «الحزب الهاشمي» دار سينا، (ص٤٥).
(٢) ابن منظور «لسان العرب» دار المعارف، (ج٦، ص٤٥١٦).
(٣) د. القمني، المرجع السابق (ص٤٣).
(٤) نفس المرجع، (ص٤٩)، وراجع ابن كثير «البداية والنهاية» (ج٢ =

ثانيًا: أن د. القمني في حديثه عن الوفد القرشي الذي -كما قال- قاده عبد المطلب إلى اليمن، تعمد نقل هذه الرحلة «القومية» بدون توثيق، وهذا التعمد غير المبرر علميًّا أغرانا بمراجعة الخبر في «سجلات الإخباريين» التي أخبرتنا بأن «خويلد الأسدي» و«أبو زمعة» لم يكونا في الوفد القرشي المكون من عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وعبد الله بن جدعان، وأسد بن عبد العزى، ووهب بن عبد مناف، وقصي بن عبد الدار[1]، وأخبرتنا -أيضًا- بأن هذا الـ«أبو زمعة» لا وجود له في آباء أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة بن عوف بن ثقيف[2].

المؤامرة الهاشمية:

وحتى لا نطيل؛ فنحن لن نجعل من هذه النقطة محلًا لخلاف، فليكن «أبو زمعة» جدًّا لأمية، و«خويلد» هو رفيق الرحلة إلى اليمن -كما يريد د. القمني-، بل ليكونا حليفين لعبد المطلب، لأن د. القمني يريد أن يجمع الثلاثة: عبد المطلب (جد النبي)، وخويلد (والد السيدة خديجة «الأرملة الثرية»)، وأبو زمعة (جد أمية «الشاعر») في لقاء واحد؛ بقصد الدليل على وجود تحالف بين الثلاثة، وليتمكن من مد هذه العلاقة إلى الخلف الثلاثة (محمد – خديجة - أمية)، وتحميل الحفيد الهاشمي (محمد) مسئولية تغيير جوهرها من علاقة تحالفية إلى علاقة تكتيكية، وأحيانًا تآمرية!

= ص٢٥٨)، والطبري «تاريخ الأمم والملوك» دار الريان، (ج١، ص٥٠٥).

(١) البيهقي «دلائل النبوة» دار الكتب العلمية، ج٢، ص٩)، والإمام الصالحي «سبل الهدي والرشاد» المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (ج١، ص١٤٦).

(٢) ابن كثير، (ج٢، ص٢٢٥).

فعند د. القمني أن الحفيد الهاشمي الفقير وجد أنه ليبدأ في تنفيذ خطة جده «المرسومة، والمدروسة، والمنظمة»، والتي من وسائلها الدين (...)، والمال؛ كان يحتاج إلى مصدر «ثري» يوفر له «الوقت الكافي والاطمئنان النفسي للانصراف من السعي وراء الرزق إلى التفكير في شئون قومه السياسية والدينية»[3]، فتزوج «الأرملة الثرية التي تكبره بنحو خمس عشرة سنة» (خديجة بنت خويلد)، بعد خداع والدها، وتغييبه عن الوعي (بالخمر)؛ لانتزاع موافقته التي تنكر لها بمجرد استيقاظه، ووصل الأمر بالأب (المخدوع) إلى حد التظاهر ضد هذا الزواج في شوارع مكة!

وبثقة -وتحديدًا لتأكيد الخداع المحمدي- أشار الدكتور (الماركسي) إلى نقله لهذه المعلومة عن كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير!! وبالفعل؛ بالرجوع إلى مرجع د. القمني وجدنا هذه المعلومة (الرواية)، ولكن ما وجدناه -أيضًا-، وأخفاه د. القمني بقصد أن هذه رواية ضمن روايات «جمعها» ابن كثير؛ ليرجح عليها رواية أخيرة هذا نصها: قال المؤملي: «المجمع عليه أن عم خديجة عمرو بن أسد (وليس والدها) هو الذي زوجها محمدًا، وهذا (في رأي ابن كثير) هو الذي رجحه السهلي، وحكاه (رواه) عن ابن عباس، وعائشة قالت: وكان خويلد مات قبل (حرب) الفجار»[4]، أي: قبل زواج محمد من خديجة بخمس سنوات.

ونحن لن نسأل الدكتور عن علة امتناعه عن الإشارة إلى وجود روايات أخرى؟ أو عن المانع العلمي الذي حال بينه وبين القيام بواجبه -كباحث- إزاء الروايات

(٣) د. القمني، المرجع السابق (ص٧٩).

(٤) نفس المرجع، (ص٨٠)، وقارن «ابن كثير» (ج٢، ص٢٩٩).

المتناقضة؟ لأن الدكتور -في تقديري- أراد تثبيت رواية الخداع على أنها رواية وحيدة ومتواترة، ولا يوجد ما يناقضها؛ ليسهل عليه (كماركسي) الإيحاء بتخفف الحفيد الهاشمي من العبء الأخلاقي، والذهاب بعقولنا -كقراءة له- إلى أن هذا الحفيد بعد عثوره على المصدر «الثروي» في «الأرملة الثرية» (بنت خويلد، حليف عبد المطلب ورفيقه في رحلة اليمن)، بدأ «يتابع خطوات جده»؛ لتحقيق نبوته بالوحي، وهي -عند د. القمني- خطوات قادت الحفيد إلى عثوره على «مصدر شعري» للوحي في شعر أمية بن أبي الصلت (حفيد أبو زمعة حليف عبد المطلب، ورفيق رحلته إلى اليمن).

القرآن مسروق:

وهذا يقودنا إلى قراءة أهم ما ساقه د. القمني للتدليل على صواب موقفه «المادي» عن القرآن، ونبدأ بما قاله عن صاحب «المصدر الشعري»: «هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت؛ الذي تصله أمة رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف ببيت عبد مناف بن قصي»[1]، وجده أبو زمعة حليف عبد المطلب بن هاشم، وبجانب النسب والتحالف استطاع «رغم تنافس الحنفاء» أن يحتل مكانة بارزة كواحد من «تلامذة الحنيفية الكبار» بعد عبد المطلب «أستاذ الحنيفية الأول»، وزيد بن عمرو بن نفيل؛ الذي «يعد ثاني الرواد الحنيفين أثرًا، وأكثرهم خطرًا بعد عبد المطلب»، و«حرم (أمية) على نفسه الخمر، وتجنب الأصنام، وصام والتمس الدين، وذكر إبراهيم وإسماعيل، وكان أول من أشاع بين القرشيين افتتاح الكتب والمعاهدات والمراسلات بعبارة: (باسمك اللهم) -استعملها النبي محمد، ثم تركها واستعمل بسم الله الرحمن الرحيم-، وقد روى الإخباريون قصصًا عن التقاء أمية بالرهبان، وتوسمهم فيه أمارات النبوة، وعن هبوط كائنات مجنحة شقت قلبه، ثم نطفته وطهرته تهيئة لمنحه النبوة»[2].

و«**يعتبر أمية أحسن الحنفاء حظا في بقاء الذكر،** فقد بقي كثير من شعره، وحفظ قسط لا بأس به من أخباره، وسبب ذلك (ينقل د. القمني عن د. جواد علي بتحريف!!) هو بقاؤه إلى ما بعد البعثة، واتصاله بتاريخ النبوة والإسلام اتصالًا مباشرًا، وملاءمة شعره بوجه عام لروح الإسلام، برغم أنه حضر البعثة ولم يسلم، ولم يرض بالدخول في الإسلام؛ لأنه يأمل أن تكون له النبوة، ويكون مختار الأمة وموحدها، ولذلك برز كنموذج للاستقامة والإيمان، والتطهر، والزهد، والتعبد، ومات سنة تسع للهجرة بالطائف كافرًا بالأوثان وبالإسلام»[3].

بجانب ما سبق؛ فأمية -عند د. القمني- ليس كأي فرد (قاعدي) في تيار الحنفاء، لكنه واحد من أهم مجتهديهم لاستطاعته -بتفرد- نحت قاموسه الشعري/اللغوي الذي مكنه باقتدار من صياغة تعاليم «ملة عبد المطلب» (الحنيفية)، لذلك ينقل الدكتور بانبهار من شعر أمية حول عقيدته في البعث والحساب:

باتت همومي تسري طوارقها أكنى عيني والدمع سابقها
من أتاني من اليقين ولم أوت برأة يقصي ناطقها

(١) القمني، نفس المرجع، طبعة مجلة «مصرية»، العدد (٩)، (أكتوبر ١٩٨٦م)، (ص١٥)، ومجلة «الكرمل» الفلسطينية، العدد (٣١) لسنة (١٩٨٩م)، (ص٤٨)، وطبعة دار سينا، (ص٦٩) د. القمني «الإسلاميات» (ص٦٣).

(٢) نفس المرجع والصفحات.

(٣) نفس المرجع، «مصرية» (ص١٦)، «الكرمل» (ص٤٨)، و«دار سينا» (ص٦٩)، و«الإسلاميات» (ص٦٥).

أم من تلظى عليه واقدة النار محيط بهم سرادقها
أم أسكن الجنة التي وعد الأبرار مصفوفة نمارقها

وفي رب الحنيفية، ينقل:

إله العالمين وكل أرض ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعًا شدادًا بلا عمد يرين ولا صال

وعن عذاب الدار الآخرة، ينقل:

وسيق المجرمون وهم عراة إلى ذات المقامع والنكال
فنادوا ويلنا ويلًا طويلًا وعجوا في سلاسلها الطوال
فليسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحر النار صالي
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال[1].

وبدون أن يكاشف قارئه بدوافع انبهاره بشعر أمية، وهل عاش -كباحث- القلق العلمي بمراحل شكه وسؤاله، وبحثه المحايد، والموضوعي في آراء العلماء في شعر أمية والحنفاء؛ لنرى هل انبهاره نتيجة بحث؟ أم نتيجة لدوافع إيديولوجية؟ لم يرد د. القمني ضرورة علمية لهذه المكاشفة، واكتفى بتقديم هذه الأشعار بقوله: «ليلحظ قارئنا أننا نستند هنا في أمر هذا الشعر إلى مصادره الأصلية، إضافة إلى العودة إلى حل مسألة الانتحال فيه والأخذ بما انتهى الباحثون تأكيده غير منحول، فهي مهمة لها رجالها المتخصصون، وإليهم مرجعنا في هذا الأمر»[2]، ليوحي بأن شعر أمية خارج المناقشة، وأن «عدم انتحاله» هو الرأي الذي انتهى إليه أهل الاختصاص، وذلك بغرض تأهيل عقل قارئه لتلقي ما سينقله عن د. جواد علي «في أكثر ما نسب إلى هذا الشاعر من آراء ومعتقدات، ووصف ليوم القيامة والجنة والنار، تشابه كبير وتطابق في الرأي جملةً وتفصيلًا لما ورد عنها في القرآن الكريم، بل نجد في شعر أمية، استخدامًا لألفاظ وتراكيب واردة في كتاب الله والحديث النبوي قبل المبعث، فلا يمكن -بالطبع- أن يكون أمية قد اقتبس من القرآن؛ لأنه لم يكن منزلًا يومئذٍ».

«**وأما بعد السنة التاسعة الهجرية**؛ فلا يمكن أن يكون قد اقتبس منه -أيضًا-؛ لأنه لم يكن حيًّا، فلم يشهد بقية الوحي، ولن يكون هذا الفرض مقبولًا في هذه الحال، ثم إن أحدًا من الرواة لم يذكر أن أمية ينتحل معاني القرآن وينسبها لنفسه، ولو كان قد فعل لما سكت المسلمون عن ذلك، ولكان الرسول أول الفاضحين له»، ويضيف د. القمني: «وهذا -أيضًا- مع رفض أن يكون شعره منحولًا أو موضوعًا من قبل المسلمين المتأخرين؛ لأن في ذلك تكريمًا لأمية وارتفاعًا بشأنه، وهو ما لا يقبل مع رجل كان يهجو نبي الإسلام بشعره، ولا يبقى (في رأي د. القمني) سوى أنه (أمية) كان حنيفيًّا مجتهدًا، استطاع أن يجمع من قصص عصره، وما كان عليه الحنفاء من رأي في شعره خاصة، مع ما قاله بشأنه ابن كثير: وقيل: إنه كان مستقيمًا، وإنه كان أول أمره (في الجاهلية) على الإيمان، ثم زاغ عنه (بعد الإسلام)، ولا ريب (الكلام للقمني) أن الاستقامة تفرز الاستقامة وتلتقيها، وربما كتب (أمية) ما كتب إبان هذه الفترة التي حددها ابن كثير، ولا ريب أنها كانت قبل البعثة النبوية؛ لأنه بعدها -ولا شك- زاغ عن إيمانه واستقامته، إذ رأى الملك والنبوة تخرج من بين يديه بعد أن أعد نفسه لها طويلًا»[3]، هذا بالنص ما قاله د. القمني عن أمية بن أبي الصلت، وما قاله

---

(١) نفس المرجع، «مصرية» (ص١٦-١٧)، و«الكرمل» (ص ٤٨)، و«سينا» (ص ٦٩-٧٠)، و«الإسلاميات» (ص٦٤-٦٦).

(٢) نفس المرجع، دار سينا «(ص٦٧)، و«الإسلاميات» (ص ٦١).

(٣) نفس المرجع، «مصرية» (ص٤٧/ ١٨)، و«الكرمل» (ص ٤٩)، و«سينا» (ص٧٣-٧٤)، و«الإسلاميات» (ص ٦٨-٦٩).

يحاصر عقل القارئ بأن أمية أولًا: «برز كنموذج للاستقامة والإيمان، والتطهر، والزهد، والتعبد»، ثانيًا: أنه كان حنيفيًّا مجتهدًا، استطاع -بجهده الفذ- أن يكتب ما كتب من أشعار، ثالثًا: أن ما نقله من شعر أمية «غير موضوع»، رابعًا: أن ما كتبه أمية «والذي جاء مطابقا لما ورد في القرآن» كتبه قبل البعثة النبوية، أي قبل نزول القرآن؛ ربما بسنوات، وكل هذا -كما نرى- يحصر عقل القارئ في دائرة التسليم بالاحتمال المسكوت عنه، وهو استعانة النبي محمد بشعر أمية في كتابة قرآنه.

ونكرر نحن لسنا ضد حق د. القمني في ممارسة الشك، وأن يصل شكه (كماركسي-مادي) إلى حد التشكيك في القرآن، وإلى حد طرح شعر أمية كمنبع جاهلي لكتاب الإسلام المقدس، فالدكتور في شكه في المنبع الإلهي للقرآن لم يكن الأول، ولن يكون الأخير، لكن الفارق بينه وبين غيره من المستشرقين الذين اتفق معهم في نفي إلهية القرآن، وإثبات بشريته؛ أنهم طرحوا كل الاحتمالات على بساط البحث، وناقشوا أدلة كل احتمال، وخرجوا برأي يميل إلى أخذ محمد قرآنه من شعر أمية، وصاغوا هذه النتيجة في أسلوب واضح ومعبر بدقة عن مقصودهم؛ بحيث لا يحتمل تأويلًا أو معنى آخر غير الذي قصدوه، ومن هؤلاء المستشرقين: كليهان هوار، بور، فردرش شولتيس، وبوضوحهم أتاحوا للعلماء العرب فرصة مراجعة هذا الرأي ونقده، ومن أشهر العلماء العرب الذين نقدوا هذا الرأي: الاستشراقي د. طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»، ود. شوقي ضيف في كتابه «تاريخ الأدب العربي»، المجلد الأول «العصر الجاهلي»، ود. جواد في موسوعته «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام».

أما د. القمني؛ فقد ناقش بتوسع ونفى بيقين شبهة استعانة أمية بالقرآن، وسكت بلا مبرر منطقي، أو علمي، أو أخلاقي عن استكمال بحث شبهة استعانة محمد بشعر أمية، واكتفى بقوله: «ليس من الضروري أن أستنتج، ولكن القارئ يمكن أن يستنتج ما أنتهي إليه، وبالتالي أعتمد كثيرًا على القارئ في استنتاج كثير من النتائج»[1]، وحسب هذا القول فأبسط العقول ذكاء تستنتج من نفي الاحتمال الأول؛ إثباتًا للاحتمال الثاني، وهو أن الحفيد الهاشمي «محمد» استعان بشعر أمية، واقتبس منه تراكيبه وألفاظه، وادعى أن ما اقتبسه هو وحي الله إليه.

الحرام العلمي:

هنا؛ ولأن د. القمني -كما مر بنا- في سبيل تأكيد حقيقة الصراع الهاشمي الأموي اقترف كل أنواع الحرام العلمي؛ بدءًا بتزوير وتحريف النصوص التراثية؛ لإجبارها على أن تقول بحقيقة وتاريخية «ملة عبد المطلب»، و«الإيديولوجيا الهاشمية»، و«أهداف الحزب الهاشمي»، فإذا كان النبي محمد هو -كما يريد د. القمني- الحفيد الهاشمي الملتزم بخطط جده وأهداف حزبه، فأمية بن أبي الصلت (الشاعر) هو -كما صرح د. القمني- ابن رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف، و«خالة» أمية بن عبد شمس الذي قاد الصراع الأموي ضد الحزب الهاشمي!! أي أنه (الشاعر أمية) واحد من «كوادر» الحزب الأموي، ولأنه كذلك؛ فقد فضل الكفر على الإسلام بسبب علاقته بسادات الحزب الأموي[2].

وعليه، فإذا صدقنا حجة د. القمني في نفي

(١) د. القمني، مما نسب إليه من اتهامات فور «الأسطورة والتراث»، طبعة دار سينا (ص٢٨١).

(٢) د. القمني، «الحزب الهاشمي»، دار سينا (ص٧٠).

الاحتمال الأول: أن أمية لو كان ينتحل معاني القرآن وينسبها لنفسه؛ «لما سكت المسلمون على ذلك، ولكان الرسول (الحفيد الهاشمي) أول الفاضحين له»، وهي حجة قوية، ولخصوصية علاقة أمية بالحزب الأموي، فالعقل، والمنطق، و«ألف باء» بحث علمي كانوا يفرضون على الدكتور (العلماني حتى النخاع) بحث الاحتمال الثاني؛ لكشف موقف أمية وحزب أخواله الأمويين من الحفيد الهاشمي الذي -حسب الاحتمال المسكوت عنه- يستعين بأشعار ابن أختهم في كتابة قرآنه، وهل سكت أمية على ما فعله محمد الهاشمي؟ وهل سكت الحزب الأموي وضحى بهذه الفرصة لإجهاض الخطط الهاشمية بكشف المنبع الأموي للقرآن؟!

كان يجب -علميًّا ومنطقيًّا- على د. القمني بحث هذه الجزئية الخطيرة، والتنقيب في كتب التراث عن وقائع ترصد موقف أمية والحزب الأموي، ولكن -للأسف- لم يرد القمني اقتحام هذه المنطقة لإنارتها، وفضل أن يتحسس القارئ ما سكت عنه الدكتور التنويري، ونحن -أمام هذه الرغبة القمنية- رجعنا إلى المراجع التاريخية للبحث والتنقيب عن الموقف الأموي (الشاعر والحزب) لنمسك بالموقف القمني.

أميه يرد على القمني:

ونبدأ بموقف أمية الذي رواه ابن كثير؛ والذي لا نشك في علم د. القمني به، والذي -أيضًا- لا نشك في تجاهله المتعمد لهذه الواقعة التي تسجل اللقاء الوحيد -في حدود علمي- الذي جمع بين النبي محمد والشاعر أمية، فقد روى ابن كثير أن أمية لما قدم من البحرين إلى مدينته الطائف قال لأهلها: ما يقول محمد بن عبد الله؟ قالوا: يزعم أنه نبي، هو الذي كنت تتمنى، فخرج أمية حتى قدم مكة فلقيه، فقال: يا ابن عبد المطلب.. ما هذا الذي تقول؟ رد الرسول أقول: إني رسول الله، وأن لا إله إلا الله، قال أمية: أريد أن أكلمك، فعدني غدًا، قال الرسول: فموعدك غدًا، قال أمية: فتحب أن آتيك وحدي أو في جماعة من أصحابي، وتأتيني وحدك أو في جماعة من أصحابك؟ فقال الرسول: أي ذلك شئت، قال أمية: فإني آتيك في جماعة، فأتِ في جماعة.

فلما كان الغد؛ غدا أمية في جماعة من قريش، وغدا رسول الله معه نفر من أصحابه؛ حتى جلسوا في ظل الكعبة، فبدأ أمية فخطب، ثم سجع، ثم أنشد الشعر (كل ذلك لإظهار قدراته، وتعجيز النبي!)، حتى إذا فرغ الشعر، قال أمية: أجبني يا ابن عبد المطلب؟! فقال رسول الله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. . .﴾ [يس:٢]، حتى إذا فرغ منها؛ وثب أمية يجر رجليه، فتبعته قريش يقولون: ما تقول يا أمية؟ قال: أشهد أنه على الحق[1].

هذا هو اللقاء الذي تجاهله د. القمني (ولم يجهله)، وأعتقد أن هذا الدكتور (الذي ينادي بإعادة ترتيب آيات وسور القرآن) بالتأكيد يعرف أن سورة «يس» التي تحدى بها النبي «خطابة»، و«سجع»، و«شعر» أمية تبلغ آياتها ثلاثًا وثمانين آية، وأن الآية (٦٩) تقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾.

والذي يمكننا فهمه من سياق رواية ابن كثير: أن أمية استمع إلى هذه الآية من الرسول نفسه، ولم يكتشف (رغم كفره) ما اكتشفه الدكتور التنويري (رغم إسلامه) التشابه الكبير والتطابق في الرأي جملةً وتفصيلًا بين شعره

(١) «ابن كثير» (ج٢ ص٢٣٠).

والقرآن، لذلك شهد أمية -أمام الجماعة التي رافقته من قريش، (وربما من الحزب الأموي) - بأن محمدًا «على الحق»، ليس هذا فقط، بل الثابت -أيضًا- أن أمية بعد سبع سنوات من هذا اللقاء وهذه الشهادة ذهب ليعلن إسلامه، ولكن بعض أهل مكة علموا بمسيره؛ فأرادوا رده عن غايته ليس بكشفهم له استعانة الحفيد الهاشمي بشعره، وإنما بإحياء العصبية الجاهلية في قلبه، وتذكيره بمن قتل في غزوة بدر من زعماء الحزب الأموي[1].

وما تجاهله د. القمني -ونقلناه هنا- يضع عقولنا على حقيقة أن هذا الدكتور -للأسف- لم يحركه العلم للبحث عن حقيقة، وإنما تحرك وحركه هدف واحد ووحيد هو: التشكيك في فكرة الوحي «الغيبية»؛ لتناقضها مع «ماديته»، لذلك لم يكتف بتجاهل معلومة تاريخية كانت -على الأقل- كفيلة بترشيد رأيه، لكنه -وبقصد- اقترف جريمة تحريف نصوص مرجعه؛ ليوهم القارئ بأن «د. جواد علي» يشاركه هذا الرأي «المادي» في القرآن.

هنا؛ ولأن د. جواد علي يعد واحدًا من أهم العلماء العرب الذين نقضوا هذا الرأي بعمق وحياد وموضوعية العالم الباحث عن الحقيقة، وأفرد لمناقشة هذه الشبهة الاستشراقية عشرات الصفحات في عمله الموسوعي عن تاريخ العرب قبل الإسلام، فنحن سنحاول نقل بعض ما كتبه في فصل «الحنفاء»، لنقارنه بما نقله د. القمني.

يقول د. جواد: «في أكثر ما نسب إلى هذا الشاعر (أمية بن أبي الصلت) من آراء، ومعتقدات دينية، ووصف ليوم القيامة والجنة والنار تشابه كبير، وتطابق في الرأي -جملةً وتفصيلًا- لما ورد عنها في القرآن الكريم، بل نجد في شعر أمية استخدامًا لألفاظ وتراكيب واردة في كتاب الله وفي الحديث النبوي، فكيف وقع ذلك؟ وكيف حدث هذا التشابه؟ هل حدث ذلك على سبيل الاتفاق، أو أن أمية أخذ مادته من القرآن الكريم؟ أو كان العكس، أي أن القرآن الكريم هو الذي أخذ من شعر أمية؛ فظهرت الأفكار والألفاظ التي استعملها أمية في آيات الله وسوره؟ فكتاب الله إذن هو صدى وترديد لآراء ذلك الشاعر (...)، أو أن كل شيء من هذا الذي نذكره ونفترضه افتراضًا لم يقع، وإن ما وقع ونشاهده سببه أن هذا الشعر وضع على لسان أمية في الإسلام، وأن واضعيه حاكوا في ذلك ما جاء في القرآن الكريم، فحدث لهذا السبب هذا التشابه؟».

بعد طرح تساؤلاته؛ بدأ د. جواد بهدوء العالم في مناقشة هذه الاحتمالات، فقال عن الاحتمال الأول: «وهو فرض أخذ أمية من القرآن، فهو احتمال إن قلنا بجوازه ووقوعه، وجب حصر هذا الجواز في مدة معينة، وفي فترة محدودة تبتدئ بمبعث الرسول، وتنتهي في السنة التاسعة من الهجرة؛ وهي سنة وفاة أمية بن أبي الصلت، أما ما قبل المبعث؛ فلا يمكن بالطبع أن يكون أمية قد اقتبس من القرآن؛ لأنه لم يكن منزلًا يومئذٍ، وأما بعد السنة التاسعة؛ فلا يمكن أن يكون هذا الفرض مقبولًا معقولًا في هذه الحالة، إلا إذا أثبتنا بصورة جازمة أن شعر أمية الموافق لمبادئ الإسلام، ولما جاء في القرآن قد نظم في هذه المدة المذكورة، أي بين المبعث والسنة التاسعة من الهجرة (...).

ولكن من في استطاعته تثبيت تواريخ شعر أمية وتعيينه، وتعيين أوقات نظمه؟ إن في استطاعتنا تعيين بعضه من مثل الشعر الذي قاله في مدح عبد الله بن

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية» المكتبة التوفيقية، (ج٢ ص٦٣٣).

جدعان، أو معركة بدر، ولكننا لا نستطيع أن نفعل ذلك بالغالبية منه، وهي غالبية لم يتطرق الرواه إلى ذكر المناسبات التي قيلت فيها، ثم إن بعض هذا الكثير مدسوس عليه مروي لغيره، وبعضه إسلامي فيه مصطلحات لم تعرف إلا في الإسلام، فليس من الممكن الحكم على آراء أمية الممثلة في مصطلحات لم تعرف إلا في الإسلام، فليس من الممكن الحكم على آراء أمية الممثلة في شعره هذا بهذه الطريقة، ثم إن أحدًا من الرواة لم يذكر أن أمية كان ينتحل معاني القرآن الكريم وينسبها إلى نفسه، ولو كان قد فعل لما سكت المسلمون عن ذلك، ولكان الرسول أول الفاضحين له».

وبعد نفيه احتمال أخذ أمية من القرآن يقول د. جواد: «يبقى لدينا افتراض آخر هو: أخذ القرآن الكريم من أمية، وهو افتراض ليس من الممكن تصوره، فعلى قائله إثبات أن شعر أمية في هذا الباب هو أقدم عهدًا من القرآن، وتلك قضية لا يمكن إثباتها أبدًا، ثم إن قريشًا ومن لف لفها ممن عارضوا الرسول لو كانوا يعلمون ذلك ويعرفونه لما سكتوا عنه، ولقالوا له: إنك تأخذ من أمية، كما قالوا له: إنك تأخذ من غلام نصراني كان مقيما بمكة، وإليه أشير في القرآن بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل:١٠٣]، ولم يشيروا إلى أمية بن أبي الصلت، ثم إن أمية نفسه لو كان يعلم ذلك، أو يظن أن محمدًا إنما أخذ منه لما سكت عنه، وهو خصم له ومنافس عنيد؛ أراد أن تكون النبوة له، وإذا بها عند شخص آخر ينزل الوحي عليه، ثم يتبعه الناس فيؤمنون بدعوته، أما هو فلا يتبعه أحد، هل يعقل سكوت أمية لو كان قد **وجد أي -وإن كان بعيدًا- يفيد** أن الرسول قد أخذ فكره منه؟ لو كان شعر أمية بذلك لنادى به حتمًا»[1].

ويؤكد د. جواد: «أما أنا؛ فأرى أن مرد هذا التشابه والاتفاق إلى الصنعة والافتعال، لقد كان أمية شاعرًا -ما في ذلك شك-؛ لإجماع الرواة على القول به، وقد كان ثائرًا على قومه، ناقمًا عليهم لتعبدهم للأوثان، وقد كان على شيء من التوحيد والمعرفة باليهودية والنصرانية، ولكني لا أظن أنه كان واقفًا على كل التفاصيل المذكورة في القرآن وفي الحديث؛ عن العرش، والكرسي، وعن الله، وملائكته، وعن القيامة، والجنة والنار، والحساب، والثواب والعقاب، ونحو ذلك، إن هذا الذي أذكره شيء إسلامي خالص، لم ترد تفاصيله عند اليهود ولا النصارى، ولا عند الأحناف، فوروده في شعر أمية، وبالكلمات والتعابير الإسلامية، هو عمل جماعة فعلته في عهد الإسلام ووضعته على لسانه، وكما وضعوا -أو وضع غيرهم- في شعر أمية في عدم اتساقه، وفي اختلاف أسلوبه وروحه، فبينما نجد شعره بالدين في ديباجة جاهلية على نسق الشعر المنسوب إلى شعراء الجاهلية، نجد القسم الديني منه والحكمي في أسلوب بعيد عن هذا الأسلوب، وبعيد عن الأساليب المعروفة عن الجاهليين، أسلوب يجعله قريبًا من شعر الفقهاء والصوفيين المتزمتين»، ويقول: «وأثر الوضع على بعض شعر أمية واضح ظاهر لا يحتاج إلى دليل، وهو وضع يثبت أن صاحبه لم يكن يتقن له صنعة الوضع جيدًا»[2].

هذا بعض ما قاله د. جواد علي، وسكت د. القمني عن نقله؛ بقصد التشكيك في المصدر الإلهي للقرآن،

---

(١) د. جواد علي، «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (ج٦ ص ٤٩٠-٤٩٢).

(٢) نفس المرجع، (ج٦ ص٤٩٧).

وإرجاعه إلى مصدر بشري (جاهلي) هو -كما يرى- الشعر المنسوب لأمية بن أبي الصلت، ونحن لسنا ضد حق د. القمني (المادي) في أن يذهب هذا المذهب، وأن يشارك المستشرقين رأيهم في القرآن، فالدكتور ربما فعله كان يتسق تمامًا مع «ماديته» الفلسفية، ولكننا ضد توسله بالكذب، والتحريف، والتحوير، والتزييف، والتقول على المراجع التاريخية، بما لا تقوله؛ لإجبارها على أن تقول بما يريده كمادي!

وما انتهينا إليه يعيدنا بقوة إلى ما قاله د. القمني -ونقلناه- إن كتب السير «لم تذكر أن الوحي نزل على زيد بن ثابت ولجنته؛ ليرتبوا آيات وسور القرآن على شكلها»، وإن بقاء «الحال دون أي محاولة لإعادة النظر واتباع طريقة علمية في ترتيب آيات وسور المصحف» كان «عن قصد مبيت» لـ «إكساب الشكل قدسية المضمون، مع إغلاقه بالضبة، ووضع المفتاح بيد فقهاء السلطان»، فقد وجد الدكتور أنه «لا سبيل سوى أن نتحرك نحن لنرتب ما بأيدينا (من قرآن)، وفهمه (بعد إعادة ترتيب آياته وسوره) وفق ظرفنا الآني»!!

ولأن الدكتور -حتى الآن- اكتفى بإطلاق دعوته، وتوقف عن «التحرك» لإنجازها، وتركنا -كقراء له- لا نعرف سبب توقفه عن إنجاز هذا الترتيب الذي سيضع اسمه إلى جانب أسماء «فايل»، و«نولديكي»، و«شقالي»، و«بلاشير».. إلخ.

هل لأنه -حتى الآن- لم يوفق في سرقة «المفتاح» من «يد فقهاء السلطان»؛ ليبدأ في تكسير باب «قدسية الشكل» القرآني؟ أم لأنه -حتى الآن- لم يستقر على تفضيل وتبني ترتيب واحد من الترتيبات الاستشراقية لسور القرآن؟ أم لأنه -حتى الآن- ينتظر أن يخصه الوحي بالنزول عليه، وتمكينه من إنجاز هذا الترتيب؟

حرية الاعتقاد:

عند د. القمني أن هذا الحفيد في بداية دعوته «لم يخرج -آنذاك- عن أطر عُرْف قريش المسنون في حرية الاعتقاد، فلم يجبر أحدًا لاعتناق دعوته، كما لم يحاول فرضها أو اعتبارها الديانة الوحيدة الواجب اعتناقها»، وبثقة استشهد (الدكتور) على صواب ما قاله بالآيات: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، و﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[يونس:٩٩]، و﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾[فاطر: ٢٣]، و﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام:١٠٧]، هذا في نص «الحزب الهاشمي، وتأسيس الدولة الإسلامية» المنشور ككتاب، أما في نفس النص المنشور كدراسة في مجلة «مصرية» العدد (التاسع)، (أكتوبر ١٩٨٦م)، (ص١٨-١٩)؛ فقد استشهد على التزام الحفيد (محمد) في بداية دعوته بسنة قريش في حرية الاعتقاد بالآيات: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[البقرة: ٢٦٥]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:٦٢].

ويمضي الدكتور فيقول: «بل وأكدت الآيات أن الله قال لعيسى بن مريم: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران:٥٥]، وعليه فليحكم اليهود بكتابهم المقدس، وليحكم النصارى بإنجيلهم، فالآيات -كما يقول الدكتور- تعجب قائلة: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ﴾[المائدة:٤٣]، ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[المائدة:٤٧]، في هذه الفترة التي تسودها

«حرية الاعتقاد»، وهي من «القواعد التي سنها الملأ (الطبقة التاجرة)، وقعدها الأسلاف» كان الحفيد الهاشمي «يدفع الأمر نحو غايته ونضوجه لصالح الطبقة التاجرة، ولكن هذه الطبقة إزاء رؤية قاصرة رفضت من محمد رفضه «الدعوة لقواعد التجارة السارية»، ورفضت شرطه «أن يمر الإيمان الصحيح عبر الإيمان به كرسول لإله واحد»، وإزاء هذا الموقف نقل الحفيد «النبي» توجهه الإستراتيجي من «دفع الأمر لصالح الطبقة التاجرة»، وجهة أخرى مرحلية تحول بموجبها «نحو المستضعفين، والمعدمين، والعبيد»، وبجانب هذا انقلب على قاعدة «حرية الاعتقاد» التي سنها الملأ؛ لينزع عنهم صفة أنهم أهل الله التي ترتبط بمصالحهم التجارية، فأخذ الحفيد ينادي أهل مكة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾[الكافرون: ١]، برغم تأكيده «من قبل» أنهم قوم يؤمنون بالله، ويستشهد على إيمان أهل مكة بالله بالآيات: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[العنكبوت:٦١]، و﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون:٨٦-٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾[الزخرف:٩]، وبتكفيره للمكيين بعد اعترافه «من قبل» بإيمانهم «تحول الحفيد من الصبر الجميل إلى الهجوم»؛ خصوصًا بعد تأكده من وقوف الحزب الهاشمي «معه ينصره، وينتصر به»[١].

هنا؛ ولموقف د. القمني العنيف من «اجتزاء أي نص من بين النص القرآني، ونزعه من سياقه مع باقي الآيات، وسحبه من لحظته التاريخية التي سببته لدعم أي موقف نفعي حسب المصلحة المراد تحقيقها»، وهذا الاجتزاء -لنزع- السحب (عند الدكتور) هو عملية «تزييف، وتدليس، وتخديم انتهازي للنص الديني»، ولإنهاء الاستخدام النفعي والانتهازي؛ فقد انتهى الدكتور إلى تأكيد الحاجة الشديدة إلى «التعامل مع النص القرآني»، بوصفه معبرًا عن ذلك الوحي، وهو -في رأيه- «ما يستدعي عملًا دؤوبًا يربط حقل الأحداث بتصنيف الآيات المكي منها والمدني، مرتبطا بظرف كلا المدينتين، وواقع البشر فيها»[٢].

وبرغم اختلافنا الجذري مع دلالات وغايات هذا الموقف القمني الذي - في رأينا- لا يتنافر مع إرجاعه للقرآن إلى مصدر بشري - شعري- جاهلي، بل يتفق معه بتأكيده لـ «تاريخية النص»، والتي تعني -عند الدكتور-: أن «القراءة الزمنية والمكانية (التاريخية) للآيات هي الأمثل»؛ لأنها -فقط- «كانت صالحة في زمانها، متوافقة مع واقعها منسجمة مع محيطها»، وأي دعوة إلى «تطبيقها اليوم تصبح عزفًا نشازًا، يفتئت على الله، وعلى قرآنه» (المسروق من شعر أمية بن أبي الصلت)، وبهذه -أي: نسبة و«ظرفية ومكانية» القرآن- تنعدم صلاحيته لكل زمان ومكان، و«تظل الآيات (فقط) معبرة عن زمن (مضى) وحدث؛ حدث في تاريخ المسلمين»[٣].

المستوى العلمي للقمني:

فهذا الموقف يغرينا بمحاولة رؤية كيفية تعامل د. القمني مع النص القرآني -على الأقل- في توثيقه لموقف الحفيد «النبي» التكتيكي من «حرية الاعتقاد»، ونرجو من القارئ أن يرجع إلى الآيات التي استشهد بها

---

(١) القمني، «الحزب الهاشمي» (ص٨٩).

(٢) القمني، «رب الزمان»، مدبولي الصغير، (ص١٣٦).

(٣) «مجلة روز اليوسف» (٢٩ مايو ٢٠٠٤م)، (ص٧٠).

د. القمني، والتي -في رأيه- شهدت على التزام الحفيد الهاشمي «في بداية دعوته» بسنة قريش في «حرية الاعتقاد»، ونبدأ بالآيات المثبتة في نص مجلة «مصرية»، فنقول: إن سورة «البقرة» هي أول سورة مدنية، و«آل عمران» هي الثالثة في ترتيب نزول القرآن المدني، و«المائدة» مدنية وتحتل رقم (٢٦) في ترتيب النزول، ومدنية هذه السورة حقيقة لا يحتاج العلم بها إلى إلمام بأي علوم قرآنية، وإنما يحتاج فقط إلى الاطلاع على فهرس السور في أي طبعة للمصحف، وأيضًا هي حقيقة يجب أن تكون معلومة بالضرورة لرجل لا يحدثنا فقط عن الحقل الموضوع للأحداث؛ بل ويحدثنا -بيقينية- عن نتائج أبحاثه المقارنة التي أوصلته إلى صدر شعري - بشري للقرآن، هذا الرجل الذي يتحدث بهذه اليقينية الفجة؛ كان يجب عليه أن يطلع على فهرس الكتاب الذي ينفي منبعه الإلهي، وذلك حتى لا يضع استشهاداته تحت أوصاف «التزييف، والتدليس، والتخديم، والانتهازية للنص الديني»، وحتى لا يدفعنا إلى الظن بأنه ربما أخذ هذه الآيات من كتابات أخرى غير المصحف.

وإلى جانب هذا؛ فاستشهاده بهذه السورة (البقرة - آل عمران - المائدة) لا يثبت فقط جهل الدكتور بـ«المكي والمدني»، وربط هذا التصنيف بظرف كلتا «المدينتين»، إنما -والأخطر- يؤكد بيقين أن هذا الدكتور كان يفتقد أدنى درجات الوعي وهو «ينقش» بجهل آيات مدنية، وفوق هذا يتحدث عن يهود ونصارى، وحكم توراة، وحكم إنجيل؛ لتوثيق سياق يفترض أنه يرصد علاقة الحفيد الهاشمي (محمد) والملأ القرشي في حقل أحداث مكي، وفي لحظة تاريخية حددها الدكتور بـ«بداية الدعوة».

ونحن لسنا ضد حق د. القمني في استبدال استشهاداته، لكن الذي لفت نظري -أثناء بحثي في طبقات كتاب «الحزب الهاشمي»- أن هذا الاستبدال أو «التنقيح» لم يتم أولًا في طبعة الكتاب الأولى (١٩٩٠م)، وإنما تم في طبعته كدراسة في مجلة «الكرمل» الفلسطينية، عدد (٣١) سنة (١٩٨٩م)، وأن الدكتور وهو يثبت في الهوامش أسماء السور الأربعة تعمد كتابة كلمة «مكية» بعد اسم كل سورة، والملفت أكثر أنه -بعد هذا- استشهد بثمانية استشهادات قرآنية أخرى، ولم يكتب بعد أي استشهاد إن كانت سورته مكية أم مدنية! ونحن أمام هذا التعمد الذي لا نستطيع التكهن بدوافعه! وهل هي دوافع نفسية؟ أم قصد بها التعالم والتحدي؟ لا نملك سوى إخباره بأن المرحلة المكية مرحلة طويلة زمنيًّا تمتد إلى (١٣) سنة من عمر الدعوة، وأن السور المكية كثيرة، تبلغ بالضبط (٨٦) سورة.

وحسب رؤية د.القمني «المادية» فلكل سورة لحظتها التاريخية التي سببتها، والتي «عبرت عن واقعها في حقلها الموضوعي للأحداث»، وحسب هذه الرؤية فليست كل هذه السور في القرآن المكي، سورة «الكافرون» ترتيب نزولها الـ(١٨)، و«يونس» ترتيب نزولها الـ(٥١)، و«فاطر» وترتيب نزولها الـ(٤٣)، و«الأنعام» وترتيب نزولها الـ(٥٥).

ولعلمنا أن د. القمني استشهد بهذه السور لتشهد آياتها على قبول محمد «المؤقت» لعرف قريش المسنون في «حرية الاعتقاد»، ولتشهد -أيضًا- على أن بداية الانقلاب المحمدي على هذا العرف كانت بتكفيره للمكيين بآية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١][1]، وفي

(١) القمني، «الحزب الهاشمي» (ص٨٣).

حدود هذا، يفترض أن تكون سور «يونس، وفاطر، والأنعام» قد نزلت قبل تكفير الحفيد الهاشمي للمكيين، أي: قبل نزول سورة «الكافرون» عن أطر عرف قريش المسنون في «حرية الاعتقاد»، وهذا الافتراض مستحيل على كل المستويات التاريخية والدلالية! بل ومستحيل في حدود رؤية د. القمني لـ «تاريخية النص القرآني»؛ لاستحالة نزع أو سحب هذه السور من لحظتها التاريخية المتأخرة نسبيًّا في عمر الدعوة المكي؛ لتعبر له عن واقع آخر في لحظة تاريخية أخرى متقدمة جدًّا ومحددة بـ «بداية الدعوة».

وبرغم هذه الاستحالة العقلية والدلالية والتاريخية، فالذي يفهم من سياق د. القمني أنه قال بهذا المستحيل، ليس هذا فقط؛ بل حاول تقطيع أوصال (آيات) سورة «الكافرون»؛ ليلقي في وجه القارئ بآيتها الأخيرة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون:٦] كدليل قمني على قبول الحفيد «النبي» لحرية الاعتقاد كسنة قرشية، ويلقي في وجه القارئ بآيتها الأولى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١] كدليل قمني على انقلاب الحفيد (التكفيري)، على هذه الحرية، ليس هذا فقط؛ بل حاول د. القمني تفريغ آية: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون: ٦] من معناها الحقيقي الذي يدل بقوة على قبول الإسلام (الرسول - الرسالة)؛ لتعددية دينية مبدئية، تؤكد بوضوح شديد صعوبة تمييع الحدود العقدية الفاصلة بين رؤية هذه الأديان المتعددة لله ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[الكافرون:٢-٣].

ولهذا الوضوح في الموقف العبادي والعقيدي، فالتعددية الدينية هي تعددية إيمان وكفر، إيمان برؤية «الأنا» لله، وكفر برؤية «الآخر الديني» لله، وهكذا بالنسبة للآخر الديني، فهو مؤمن برؤيته لله، وكافر برؤيتي لله، ولهذا كان الأمر الإلهي: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾[الكافرون: ١] أمرًا منطقيًّا بدأت به السورة، وتلته بنفي واحدية العبادة لاختلاف الرؤية للمعبود، وختمته بإقرار «التعددية الدينية» كمبدأ إسلامي، قال به القرآن المكي، وأيضًا قال به القرآن المدني.

وتفريغ د. القمني لآية: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] من أبعادها السابقة، كان بقصد إظهار أن هذه التعددية هي في الواقع المكي واحدية دينية، يتفق فيها المسلم والجاهلي على الإيمان برؤية واحدة له، ويختلف فيها المسلم والجاهلي فقط على الإيمان بمحمد كرسول، وذلك لتخييل أن تكفير الحفيد الهاشمي للمكيين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١] لم يكن تعبيرًا عن واقع مكي، وإنما كان انقلابًا محمديًّا على محمد نفسه الذي -في رأي د. القمني- أكد «من قبل» نزول سورة «الكافرون» على إيمان أهل مكة بالله! ويستشهد (الدكتور) على إقرار محمد بإيمان أهل مكة بالآية (٦١) من سورة «العنكبوت»، والآيات (٨٦ - ٨٩) من سورة «المؤمنون»، والآية (٩) من سورة «الزخرف» (وقد سبق نقل هذه الآيات)، وهذا يعني أن هذه السور نزلت «قبل» سورة «الكافرون».

وهنا؛ يعيدنا د. القمني إلى موقفه الذي يجرم اجتزاء، ونزع، وسحب أي نص قرآني من لحظته التاريخية التي سببته، وبدون تطويل نذكر القارئ بأن سورة «الكافرون» تحتل رقم (١٨) في ترتيب نزول القرآن المكي، ونخبره بأن سورة «الزخرف» تحتل رقم (٦٣)، و«المؤمنون» رقم (٧٤)، و«العنكبوت» رقم (٨٥) في ترتيب القرآن المكي.

القمني يصحح للقرآن!!!

وبراءة نسأل الدكتور: هل قوله بقبلية هذه السور أرقام (٦٣ - ٧٤ - ٨٥) على سورة «الكافرون» رقم (١٨) ينطبق عليه حكمه بأنها عملية «تزييف، وتدليس، واستخدام انتهازي للنص الديني؛ لدعم موقف آني نفعي»! أم أن قوله بقبلية هذه السور هو محاولة ماركسية علمانية لإصلاح وتقويم النص القرآني الذي أصابه «الانحراف والعثار»[1]؟

للحقيقة، أيًّا كان رأي، أو حكم، أو إجابة، د. القمني؛ فاليقيني أن الدكتور لو تعامل مع سور وآيات القرآن بجدية؛ لعلم أن حكم القرآن (الله - الإسلام - محمد) بكفر أهل مكة سابق لسورة «الكافرون»، وأن تكفير أهل مكة لا تشوبه شبهة الانقلاب على اعتراف قرآني سابق بإيمانهم بالله؛ ولأن الله في التصور المكي (الجاهلي) له (بنين وبنات) «الأنعام: ١٠٠، والنحل:٥٧، والصافات:١٤٩ - ١٥٢»، ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات:١٥٨].

وهذا التصور يباين ويناقض التصور الإسلامي لله، ولكن د. القمني -للأسف- لم يرد التعامل العلمي؛ لأن هذا لن يبلغه غايته، فتعامل مع النص القرآني بانتهازية ليستنطق آياته بما يريد «تخييله كلحظة» «درامية» خرج فيها الحفيد الهاشمي عن وعلى قبوله «التكتيكي» لحرية الاعتقاد إلى موقفه «الإستراتيجي» التكفيري، وذلك بعد تأكده من وقوف حزبه الهاشمي «معه ينصره وينتصر به».

والمدهش في أمر د. القمني أنه لم يقف عند حد جهله الفاقع بالمكي والمدني في القرآن، لكنه اخترق سقف الجهل وتحرك بكتاباته في فضاء عدائي أو عبثي لإثبات أنه بعد انقلاب الحفيد الهاشمي على «حرية الاعتقاد» ووصفه للمكيين بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:١] «بعد أن كان يقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون:٦] انقلب الموقف المكي ضد هذا الحفيد التكفيري»، وإزاء التطورات الجديدة في مكة، «واشتداد ضغط الأحلاف على الهاشميين؛ كان الحل أن يغادر الحفيد محمد «مكة» إلى الأخوال «في يثرب»؛ ليرفع الضغط عن الأعمام، وهنا بدأ الحفيد «الذي اتبع خطى جده» يسهم بطريقته في خطة حزبه لتمهيد الأرض اليثربية لاستقباله، فركز «تكتيكيًّا» على محاولة كسب يهود يثرب أو على الأقل تحييدهم، فأرجع نسبه الهاشمي والنسب العربي إلى «سلسلة النسب الإسرائيلية»، فـ «أرسل دفعات متتالية من آيات القرآن» المكي للتأثير في يهود يثرب، توطئة لهم لقبول دعوته، بل وقبوله هو نفسه في يثرب»، وكانت الآيات الكريمة تكرم أنبياء بني إسرائيل، وتفضل النسل الإسرائيلي على العالمين (...)، وكان يخاطبهم بالموحى إليه ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾[الصف:٦)، وبسبب هذا التوجه «كان اليهود في تمام الرضا»[2].

القمني يحرف النصوص:

هذا ما ألح د. القمني -في أكثر من دراسة- على تأكيده كمقدمة «حقيقية، وليست وهمية لحدث الهجرة»، وحتى لا تخرج عن جزئية التعامل القمني مع النص

(١) «مجلة الطريق» العدد (الأول) لسنة (١٩٩٧م)، (ص٢٣).

(٢) د. القمني «السؤال الآخر»، كتاب «روز اليوسف» (من ص٧٥ حتى ص٨٢)، و«جريدة أخبار الأدب» العدد رقم (١٧٢)، بتاريخ (٢٧ من أكتوبر ١٩٩٦م).

القرآني، فأنا سأكتفي بكشف ما توصلت إليه من معلومات عن سورة «الصف» التي اعتبرها الدكتور سورة «مكية»، واستشهد بآيتها السادسة على أنه «الموحى إليه» في مكة الذي خاطب به اليهود «توطئة لهم لقبول دعوته، بل وقبوله هو نفسه في يثرب».

المعروف -بل والمجمع عليه- عن هذه السورة أنها «مدنية»، وأنها تحتل رقم (٢٣) في ترتيب القرآن المدني البالغ (٢٨) سورة، وفي مصحف ابن عباس تحتل رقم (٢٤)، وهذا يعني: أنها من أواخر سور القرآن المدني، لكن المثير إلى حد الفزع! أن هذا الدكتور (الماركسي - العلماني - التنويري) لم يكتف باللعب في تاريخية نزول هذه السورة لتحويلها من مدنية إلى مكية، لكنه -وبجرأة غير معهودة سوى من مستشرق درجة عاشرة- اقتطع جزءا من الآية السادسة التي نصها: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[الصف:٦]، ليقول هذا الدكتور أن هذه الآية «بعد تحريفه لها» هي تحديدًا الرسالة المحمدية إلى يهود يثرب ليقبلوه في مدينتهم! وبإصرار كرر هذا الدكتور نقل تحريفه لنص هذه الآية في دراساته «الحزب الهاشمي، وتأسيس الدولة الإسلامية»، طبعة دار سينا، عام (١٩٩٠م)، وطبعة المركز المصري لبحوث الحضارة، في مجلد «الإسلاميات» عام (٢٠٠١م)، و«الإسلام والقضية الإسرائيلية» المنشورة في جريدة «أخبار الأدب»، العدد (١٧٢) بتاريخ (٢٧ من أكتوبر ١٩٩٦م)، والتي أعاد نشرها في كتابه «السؤال الآخر»، مؤسسة روز اليوسف، الكتاب الذهبي، (فبراير ١٩٩٨م)، و«الدولة في عصر الرسول» المنشورة في مجلة «القاهرة»، العدد (١٢٣)، نور (١٩٩٣م)، والتي أعاد نشرها كمقدمة تأسيسية في كتابه «حروب الرسول»، مكتبة مدبولي الصغير، الطبعة الأولى (١٩٩٦م).

وهذه المعلومات وما سبقها -في تقديري- تقطع بأن هذا الدكتور غير مؤهل لا نفسيًّا، ولا أخلاقيًّا، ولا عقليًّا، ولا علميًّا، لإعادة النظر في ترتيب آيات وسور القرآن.

هل يستحق التكريم؟

وأخيرًا.. لا أملك سوى أن أكتفي بما سبق، وهو قليل جدًّا من كثير جدًّا سجلته في ثلاثة كتب: الأول بعنوان: «مركسة الإسلام»، والثاني بعنوان «مركسة التاريخ النبوي» (صدرا عن دار نهضة مصر)، والثالث بعنوان: «التنوير بالتزوير» (صدر عن مكتبة النافذة)، وأيضًا لا أملك سوى إهداء ما سبق إلى أعضاء المجلس الأعلى للثقافة، ودعوتهم إلى مواجهة التساؤلات المنطقية: هل أعضاء المجلس قرءوا فعلًا الإنتاج العلمي للدكتور القمني؟ وهل التزموا فعلًا في تقييمهم لهذا الإنتاج المعيار العلمي فقط؟ أم أن أعضاء المجلس لم يقرءوا إنتاج هذا الرجل، وبالتالي جهلوا ليس فقط موقفه المادي «بالمعنى الفلسفي» من الله، والرسول، والقرآن، وإنما - أيضًا - جهلوا حقيقة تحريفه، وتحويره، وتزويره لنصوص مراجعه التي رجع إليها في توثيقه مواقفه؟ وذلك لنعرف: هل منح د. القمني جائزة الدولة التقديرية (٢٠٠) ألف جنيه، كان -فقط- مجرد خطأ نتيجة جهل أعضاء المجلس بحقيقة علمية هذا الإنتاج، أم كان خطيئة نتيجة علم أعضاء المجلس؟

وإذا كان د. القمني امتلك جرأة الدعوة إلى إعادة النظر في ترتيب آيات وسور القرآن؛ لتكون على غير الترتيب الموجود في المصحف العثماني، فهل أعضاء المجلس يمتلكون جرأة إعادة النظر في تقييمهم لعلمية إنتاج القمني؟!

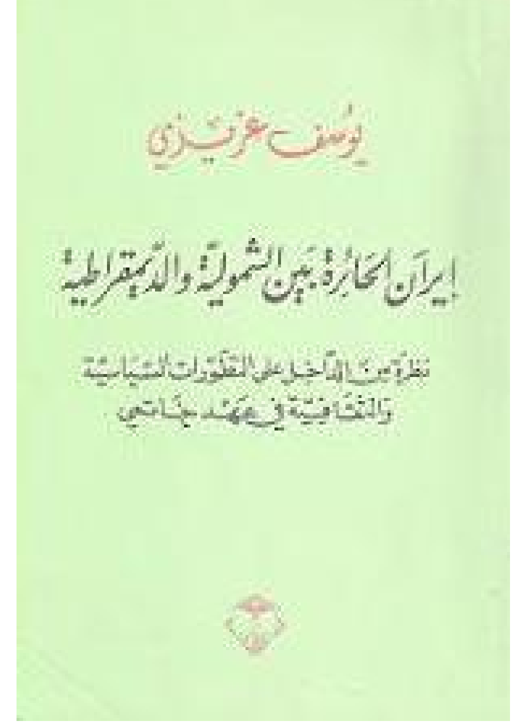
إيران.. والديمقراطية التائهة

محمد العواودة

يُظهر المشهد الانتخابي الأخير في إيران خللًا واضحًا في البنية الفكرية لنظام دولة الآيات، ويعكس سياقات دعائية غير دقيقة؛ تم ترويجها وقت صعود الخطاب الشيعي في إيران، وتفجير الثورة على نظام الشاه بقيادة الخميني، وهي المرحلة التي اعتبرت فيها الآلة الإعلامية الإيرانية أن عهد النظام الشمولي قد ولى للأبد، وأن سياقات ديمقراطية حديثة ستجعل الشعب هو صاحب الكلمة الفصل في فلسفة تقعيد المناصب والتشريعات السياسية.

ولعل المرء يتساءل على ضوء الأزمة السياسية الأخيرة، وما عصف بها من أحداث: إلى أي مدى يمكن القول: إن إيران الخميني قد تجاوزت الموقع الشمولي على الخارطة السياسية العالمية؟ وإلى أي مدى يمكن القول -أيضًا-: إنها انخرطت في الحداثة العالمية على اعتبار أن الديمقراطية إحدى أهم سياقاتها لمقاومة الاستبداد السياسي والديني بالإضافة إلى الدستورية؟

لعل هذه التساؤلات وغيرها تحتاج إلى قراءة تاريخية داخلية محايدة للمشهد السياسي الإيراني الحديث، حيث يمكن من خلالها رصد واقع الأزمة الجديدة، ومعرفة التحولات الفكرية بعيدًا عن التحليلات التي يمكن أن تقرأ من الخارج؛ بحسب زوايا تقاطع مصالح التفسير السياسي وواجهاته الإعلامية.



يقدم في هذا السياق كتاب يوسف عزيزي «إيران الحائرة بين الشمولية والديمقراطية» نظرة معمقة من الداخل الإيراني على التطورات السياسية والثقافية في عهد الرئيس خاتمي، ويكشف عن الحقائق الغائرة في تلك الحقبة، ويجري عليها الزمن في بعديه الماضي والحاضر والمستقبل، ويقدم خامة توصيفية يمكن الانطلاق منها للرصد والتحليل الفكري والسياسي في القادم من الأحداث التي ستعصف بإيران، محاولًا تحديد البوصلة على المسار الإصلاحي الذي يراه سيقترب من المجال العربي الإسلامي، ومن الغرب في المجالين المدني

والحداثي، سيما أن مؤلف الكتاب عايش التجربة الإيرانية عن قرب، واطلع على ما يجري في البلاد، وعايش أحداث ما قبل الثورة وما بعدها، كما تعمق في تاريخ إيران والعالم العربي؛ والحديث منه بخاصة، مستفيدًا -أيضًا- من تجربته في سياق التدافع القومي في إيران بصفته عربيًّا إيرانيًّا من منطقة الأهواز، كما أنه صحفي وعضو مؤسس في اتحاد الكتاب في إيران.

يصنف عزيزي القوى الفاعلة في إيران المعاصرة؛ بحسب الاصطفاف السياسي للانتخابات النيابية التي أجريت عام (٢٠٠٠) إلى ثلاثة تيارات رئيسية وهي: التيار الإصلاحي أو مؤيدي الرئيس خاتمي، وجبهة المحافظين المتشددين ممثلة بعمودها الفقري «رابطة علماء الدين المجاهدين»، والمستقلون، وهم -غالبًا- الذين يترشحون في المحافظات التي تسكنها أقليات مذهبية أو قومية، ويحملون توجهات إصلاحية، ناهيك عن بعض القوى الصغيرة التي تسمي نفسها بالقومية الدينية.

ويطرح عزيزي القضية السياسية والمجتمعية الإيرانية، وتطوراتها، وإشكالاتها، ومجالات تداولها الفكري؛ من خلال تصارع هذه القوى على المناصب السياسية؛ سيما منصب رئاسة الجمهورية بعد قيام الثورة الإيرانية الحديثة، ويكشف عن بعض سياقاتها الاجتماعية والأيدولوجية الغائبة عن فكر أكثر الذين يرصدون المشهد الإيراني الخارجي.

فيرى أن الثورة الإيرانية قد انطلقت أصلًا من أساسات غير إسلامية في التظاهرة الطلابية، والنشاطات الجامعية السياسية، حيث كانت الأفكار الشيوعية هي الأفكار المسيطرة في الجامعات؛ وحتى سقوط الحكومة الوطنية للدكتور مصدق في (أغسطس) عام (١٩٥٣)، إذ لم يكن للإسلاميين دور يذكر في الجامعات الإيرانية في تلك الفترة؛ وحتى مع إشعال الخميني نواة الثورة ضد إصلاحات الشاه التي كانت مفروضة من الخارج.

مؤكدًا عزيزي أن العلم الأحمر هو الذي كان يرفرف في الجامعات، حيث كانت السيطرة في الأوساط الطلابية؛ وحتى بعد عامين من قيام الثورة الإسلامية عام (١٩٧٩) للتيارات اليسارية والعلمانية والشيوعية التي كانت تطالب بحكم شعبي ديمقراطي علماني.

أما الإسلاميون؛ فيؤكد عزيزي أنهم قد بدأوا بترسيخ أقدامهم في الجامعات الإيرانية في الأعوام الخمسة قبل الثورة، لكنهم كانوا؛ وحتى عام (١٩٨١)؛ وبالرغم من سيطرتهم على السلطة في إيران كانوا يشكلون أقلية بين طلبة الجامعات، حيث بقي تأثير اليسار العلماني مشهودًا على الساحة الجامعية وبين الطلبة حتى عام (١٩٨١) حين أخذ الصراع بين بعض فصائل المعارضة والسلطة يتحول إلى صراع مسلح، وأخذت السلطة الإيرانية تضرب بيد من حديد جميع الأحزاب السياسية والفصائل الطلابية المستقلة التي قامت على أكتافها، حيث هيأت الحكومة الإيرانية الدينية الساحة للجمعيات الإسلامية لتكون أداة بيدها.

وحتى بعد استلام خاتمي للسلطة وقيامه ببعض الإصلاحات التي أعطت الحركة الطلابية زخمًا جديدًا لتسير بخطوات كبيرة إلى الأمام، إلا أن ما يعرف باسم: «أنصار حزب الله» كانوا يشاغبون دائمًا ضد النشاطات الإصلاحية في عهد خاتمي ويشوشون عليها، إلى جانب الدور الكبير الذي لعبته مدرسة «الحقاني» الدينية بمدينة قم في تخريج المتشددين ليتولوا مسؤوليات هامة وحساسة في الدولة؛ كالقضاء، والأمن، والاستخبارات.

يرى عزيزي وعلى هامش انتصار الثورة الإيرانية عام (١٩٧٩) التي فاجأت المراقبين السياسيين أن سقوط الشاه كان فعليًّا لصالح الفئات الدينية المتغلغلة تاريخيًّا بين الفئات الشعبية، فرجال الدين قد ركبوا الموجة وساروا بها إلى ما يطمحون وما كانوا يخططون له من قبل، حيث اضطروا في البدء أن يتحالفوا مع المجموعات ذات الاتجاه الديني القومي مثل: «حركة حرية إيران»، و«الجبهة الوطنية لإدارة شؤون البلاد»، وذلك لقلة تجربتهم في هذا المجال، إلا أن هذا التحالف لم يدم في ظل صلف رجال الدين ومحاولة استئثارهم بالسلطة، ليتحول هذا التحالف فيما بعد إلى تنافس حاد مع جماعة بازرغان «حركة حرية تحرير إيران»، و«الجبهة الوطنية» المنتمية إلى تراث مصدق، وهو الصراع الذي لا يزال قائمًا إلى يومنا هذا.

وجذور هذا التنافس -كما يراها عزيزي- ترجع إلى الحكومة المؤقتة التي قامت بعد نجاح الثورة برئاسة الدكتور بازرغان الذي أقام دستور الجمهورية الإيرانية الإسلامية بصيغة إسلامية علمانية؛ كمثيلاتها في الدول الإسلامية الأخرى.

غير أن علماء الدين الذين كانوا قد أعلنوا ووعدوا قبل قيام الثورة أنهم لن يتدخلوا في إدارة شؤون البلاد؛ قد غيروا وجهة نظرهم بعد مفاوضات حكومة بازرغان المؤقتة، وكالوا لها الاتهامات بالعمالة والخيانة والانتماء لرؤى الغرب، ليتمكنوا من احتلال مناصب ادراية ووزارية هامة، بعدما كانوا يديرون من وراء الستار مجلس قيادة الثورة وصياغة الدستور الجديد الذي يتمركز في نواته الأساسية على فلسفة نيابة الفقيه العامة وولايته المطلقة، التي ليس فوقها سلطة إلا سلطة الله.

وفي ظل تفاؤله بفترة حكم الإصلاحيين برئاسة خاتمي الذي يعتبره متميزًا عن رجال الدين التقليديين، بإحداثه شرخًا إنسانيًّا في المؤسسة الدينية الإيرانية؛ حيث أسقط عنها جدار العفة عند طرحه مقولة المجتمع المدني، يرى عزيزي أن خاتمي بالفعل وجه ضربة قاصمة للداعين إلى تكييف الجمهورية لتصبح سلطة إسلامية، أي: السلطة التي تقلل من شأن المؤسسات المدنية والانتخابية، وتركز الأمور بيد فئة قليلة تحكم باسم الإسلام.

وهو ما خفف -برأيه- من احتقان الأفكار القومية الفارسية المتعصبة التي ترفض اعتبار القوميات الأخرى كجزء من المجتمع المدني الفارسي، وهي السياسية المدعومة من المؤسسات الدينية وتيار المحافظين بشكل عام، حيث تتموقع إشكالية الهوية العربية في خوزستان -التي ينتمي إليها عزيزي-، ليتوسع في شرح ظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية، ويسرد أوضاعها في ظل حركة التمييز والاستعلاء القومي الفارسي المعاصر التي ترعرعت في ظل سياسات المحافظين الذين يعملون على إيقاف مسيرة التغيير بالقوة.

ورغم تسليطه الضوء على الملف السياسي والاجتماعي والإقليمي في معظم صفحات الكتاب إلا أن عزيزي لم يفوته أن يبرز في جملة من اللقاءات الصحفية التي أجريت معه العديد من القضايا التي تخص الملف الثقافي الإيراني، وعلاقة إيران مع جيرانها العرب؛ من خلال قراءته التاريخية، واستشرافه للمرحلة الايجابية القادمة، والتغييرات التي تنحو إليها الجمهورية الإيرانية في تواصلها مع العرب، وباقي المسلمين، والعالم بطرق أكثر حضارية وإنسانية وواقعية من منظور الحركة الإصلاحية الإيرانية التي أشعل نواتها خاتمي.



فتنة كبيرة!!

«إن ما حدث بمنطقة شينجيانغ ذاتية الحكم لقومية الويغور في شمال غربى الصين (فتنة كبيرة)!

ولولا هذا الحزم والحل السريع من قبل الحكومة الصينية؛ لقتل الكثير من الاشخاص».

أحمد حسون -مفتى سوريا- (٢٠٠٩/٧/٢٩)

موقع «وكالة الانباء الصينية (شينخوا)»

مثقفون!!

«(٥٠%) من المترددين على عيادتي النفسية في القاهرة ذهبوا الى دجالين ومشعوذين؛ لاعتقادهم بقدرتهم على حل مشاكلهم، وهم حملة دكتوراه، ومثقفين، وأُميين».

د.خليل فاضل -استشاري الطب النفسي بمصر.

«العربية نت» (٢٠٠٩/٨/٥)

أولياء!!

«أقام اليهود المغاربة بضريح أولياء «بن زميرو» السبعة بمدينة آسفي المغربية حفل «الهيلولة» السنوي؛ ويحضر اليهود المغاربة من مختلف بلدان العالم لهذا «الحج» السنوي؛ خاصة من بريطانيا، وإسرائيل، وكندا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها».

«العربية نت» (٢٠٠٩/٨/٩)

دجال صغير

«حكم بالسجن سنة، وجلده (٦٠) جلدة مكررة عشر مرات على غيني مقيم بالسعودية ، يزعم أنه المهدي المنتظر، وقد بدأ في دعوته منذ (٨) سنوات، وقال: إنه قبل (٢٥) عامًا عرج به إلى السماء، وشاهد الرسول ، وأمسك الرسول بأذنه اليمنى قائلًا له: أنت من تصلح هذه الأمة».

«الرياض السعودية» (٢٠٠٩/٧/٢٥)

تحدٍّ!!

«داهمت السلطات الأمنية السعودية خمسة مواقع معدة لانطلاق أحد أكبر المهرجانات الشعبية في الإحساء بمناسبة ميلاد «المهدي» ».

«وكالات» (٢٠٠٩/٨/٨)

همة!!

«شدد سماحة آية الله مرتضى مقتدائي -مدير الحوزة العلمية في قم- على أن الحوزة العلمية اليوم تتميز بتعدد دروس مرحلة البحث الخارج، مضيفًا: «إن الحوزة العلمية لتفخر اليوم باحتضانها ستين ألف طالب من شتى بقاع العالم ومختلف الدول».

«وكالة الأنباء الشيعية» (٢٩ مايو ٢٠٠٩)

عفة!!

«يؤخذ على الطريقة العلاوية في الجزائر ما وصفه البعض بالانفتاح المبالغ فيه؛ خصوصًا في ما تعلق بالاختلاط بين النساء والرجال في أماكن العبادة، وزيارة الأضرحة، لأن الشيخ ربانا على أن الإنسان ينظر للمرأة كأخته» ».

«العربية نت» (٢٩ يوليو ٢٠٠٩م)

شطحات ٢٠٠٩!!

«أوصى مجمع البحوث بالأزهر بمصادرة وحظر كتاب «الحسب والنسب لمحمد عبد الرؤوف المحمدي الشاذلي؛ لما يتضمنه من «شطحات عقائدية تؤثر في عقيدة العامة»، مثل قوله:«من يقول: لا إله إلا الله مشرك، رغم الكلمة الكبرى للشهادة والإيمان، لكن هذا حال من أحوال أهل الله في سلوك مقام الإحسان»، وقوله : «لا يبقي ملك إلا وعلى روحه نبي، ولا نبي إلا وعلى قدمه ولي» ».

«المصريون» (٢٠٠٩/٧/٢٩)

خدعة شيعية جديدة!!

«حكومة المالكي تنوي دمج (٢٠%) من اعضاء الصحوة الذين يقدر عددهم نحو (٨٨) ألفًا ضمن قوات الأمن، ونقل الباقين إلى وظائف مدنية بالحكومة والقطاع الخاص، لكن في

(٢٠٠٩/٥/٣٠) لم يتم توظيف سوى (٦٣٠٠)، أو ما يعادل نحو (٧%) من الجماعات السنية، منهم (١٧٠٠) فقط حصلوا على وظائف بقطاعات غير أمنية.

وخلص البنتاجون في تقريره إلى أن معدل السير في عملية الدمج لن يفي على الأرجح بأهداف حكومة بغداد بحلول (أغسطس - آب ٢٠١٠) عندما تنسحب القوات الأمريكية المقاتلة من العراق».

تقرير «قياس الاستقرار والأمن في العراق»
«الملف نت» (٢٠٠٩/٨/١)

روح وطنية!!

«تلقى رئيس تحرير مجلة «الفرقان» د. بسام الشطي تهديدات عدة من قبل مجهولين -على خلفية رفضه لمطالب الشيعة بتغيير المناهج في الكويت-، و أن موقع «الفرقان» الإلكتروني تم اختراقه من قبل «الهاكرز»، وكان بعض كتاب الزوايا في إحدى الصحف اليومية قام بالتهديد المباشر باختراق مكتب الشطي».

«صحيفة الرؤية الكويتية» (٢٠٠٩/٨/٧)

هوية بهائية!!

«في أول سابقة من نوعها أصدرت مصلحة الأحوال المدنية في مصر أول بطاقة هوية لمواطنين بهائيين، وقد وضع أمام خانة الديانة شرطة (-)؛ تنفيذا للحكم القضائي الذي أصدرته المحكمة الإدارية العليا شهر (مارس) الماضي، بعد جدل قضائي استمر (٥) سنوات منذ عام ٢٠٠٤».

«إسلام أون لاين» (٢٠٠٩/٩/٩)

خطوة لا بد أن تتكرر!!

«تم حجب قناة الحياة نهائيًّا من البث على قمر «النايل سات»، وفور ظهور القناة أمس؛ قام مجموعة من المواطنين بتحرير محاضر ضد وزير الإعلام وضد رئيس شركة القمر الصناعي».

«المصريون» (٢٠٠٩/٨/٧)

مصيبة في ديار التوحيد!!

«ألقت قوات الأمن يوم ٩ شعبان ١٤٣٠هـ القبض على مجموعة من عبدة الشيطان في الرياض، وذلك في حفل منظم لعبدة الشيطان في إحدى المجمعات السكنية، وقد تم القبض على بعض الزوار والمنظمين الأساسسين للحفل، ومخرجي الحفل؛ وهم من جنسيات سعودية، وسورية وأجنبية.

وتعتبر الحفلة الثانية؛ كما أنها تقام متزامنة بسرية تامة في كل من الرياض، وجدة، والدمام».

«لجينيات» (٢٠٠٩/٧/١٣)

أوروبا المسلمة!!

«حذر تقرير لصحيفة «الديلي تغراف» أن أوروبا مقبلة على حقبة تغييرات اجتماعية، وأن الغرب في غفلة عن قنبلة زمنية ديموغرافية؛ تتمثل في تزايد مطرد للجاليات المسلمة المهاجرة خلال الأعوام الثلاثين الماضية، مع توقعات بتضاعفها مجددًا بحلول (٢٠١٥)، وقد قفزت نسبة الجالية المسلمة في إسبانيا من (٢ ,٣%) عام (١٩٩٨) إلى (٤ ,١٣%) في (٢٠٠٧).

واستشهدت بتقرير سلاح الجو الأمريكي حول كيفية تحور العلاقات بين الولايات المتحدة وأوروبا، والذي قدر تعداد الجاليات المسلمة في أوروبا بين (١٥) مليون إلى (٢٣) مليون نسمة، مع توقع أن تصل نسبة الذي يعتنقون الإسلام إلى أكثر من (٢٠%) من سكان أوروبا.

وتشير تكهنات إلى أن أعداد المسلمين ستتفوق على سواهم في فرنسا، وربما في كافة معظم دول أوروبا الغربية، في منتصف القرن الحالي».

«المصريون» (٢٠٠٩/٨/٩)

لماذا هذا الدعم؟؟

«حذر **النائب البحريني خميس الرميحي** بريطانيا من غضبة شعبية بحرينية كبرى لن تكون في صالحها، إزاء الدعم البريطاني لجماعة معارضة تحريضية موجودة في لندن.

وشدد على ضرورة اتخاذ موقف رسمي واضح وصريح من قبل وزارة الخارجية إزاء الدعم البريطاني لتلك الفئة الضالة، مبينًا أن بعضًا من هؤلاء تستخدمهم بريطانيا لمآربها في الحصول على معلومات عن الدول التي يهم بريطانيا أن تثير فيها النعرات والفوضى.

وطالب بلاده بقطع العلاقات مع بريطانيا «التي باتت تضر بالبحرين أكثر مما نستفيده من مد جسور التعاون معها».

«البيان الاماراتية» (٢٠٠٩/٧/٢٧)



شيعة تونس.. ورقة ستستغلها إيران

«موقع لجينيات» (٢٠٠٩/٨/٥)

يبدو أن التنبيه المحتشم الذي كان يطلق -سابقًا- في بلدان المغرب العربي -عامة-، وفي تونس -خاصة-، ويتعلّق بانتشار المذهب الشيعي، وتوسّعه، وإمكانية تحوّله إلى «خطر»؛ أضحى محلّ متابعة النخب الثقافيّة؛ وربما السياسية كذلك، وإن كان تفاعل تلك النخب إلى حدّ اللحظة تجاه ظاهرة التشييع محتشما هو الآخر.

صنّفت عدة تقارير إعلامية ومقالات نشرت عبر صحف ومواقع إلكترونية الجمهورية التونسية من البلدان التي تشهد «حركة تشييع» سريعة وواضحة المعالم، إلا أن تلك التقارير والتحذيرات لم تجد لها آذانًا صاغية لدى كلّ من الإعلام الرسمي والخطاب الحكومي؛ اللذان يؤكدان باستمرار أنّ الدولة لا تتدخّل في معتقدات وأديان المواطنين التونسيين المعروفين بتسامحهم واعتدالهم.

إلا أنّ ذلك الصمت أو التجاهل -لو صحّ التعبير- يخفي صراعًا يدار في الخفاء بين المذهبين السنّي والشيعي، ويمكن ملاحظته بجلاء عبر الشبكة العنكبوتية؛ وخصوصًا عبر شبكة «الفايسبوك» الشهيرة، حيث توجّه الاتهامات باستمرار إلى دور «مشبوه» للسفارة الإيرانية بتونس؛ على حدّ تعبير عدد من المشاركين في تلك النقاشات «المذهبية» التي تدور رحاها بين سنة وشيعة، لا يربط بينهم غير الجنسية التونسية المُشتركة، وما دون ذلك يبدو الاختلاف عميقًا وحادًّا في أحيان عدّة.

لا وجود في تونس لإحصائية رسمية أو مستقلة موثوق فيها حول العدد الحقيقيّ للشيعة، لكنّ الثابت أن عددهم يزداد يومًا بعد يوم، ونقل عن أبرز رموز التشيّع في تونس الدكتور محمد التيجاني السماوي في تصريحات لوكالة «إباء» الشيعية للأنباء أن «عدد الملتحقين بالمذهب الشيعي في تونس يُعدّون بالآلاف»، ويقول السماوي -وهو من محافظة «قفصة» الجنوبية، وزار المراجع الشيعية في إيران سابقًا- متحدثًا عن شيعة تونس: «إنّ السلطة تترك لهم حرية العقيدة، كما إنهم لا يتدخلون في الشأن السياسي»، ويتابع: «لا يوجد في تونس أي تعصب سياسي أو ديني، لأن الدولة أعطت الحرية لكل إنسان بأن يكن شيعيًّا أو سنيًّا، أو حتى شيوعيًّا».

لا يبدو الرقم الذي قدّمه السماوي قابلًا للتصديق، لكن الشيعة في تونس منتشرون في كافة محافظات البلاد تقريبًا، ولا يخفي غالبيتهم تشيعه أو «استبصاره»، ويؤكدون أنهم يتمتعون بالحرية في اعتناق هذا المذهب.

يقول الأستاذ شاكر الشرفي؛ الذي اشتغل -سابقًا- بدائرة الشؤون الثقافية التابعة لسفارة جمهورية إيران الإسلامية بتونس في مقابلة: «لا أعتقد أن عدد الشيعة في تونس بلغ اليوم الآلاف؛ كما يدّعي البعض، ولكنهم في ازدياد مستمرّ، وقد يبلغون الآلاف بسرعة، لا توجد إحصاءات موثوق فيها يمكن الاستناد إليها».

سافر شاكر الشرفي -وهو أستاذ مادة «التفكير الإسلامي» بالمعاهد الثانوية، ومتابع لموضوع الشيعة والتشيّع- **إلى إيران في مناسبتين**، ويعرّف نفسه بأنه «كان منخرطًا في حركة التشييع في تونس، وتشيّع على يديه العشرات»، وأنه من أبرز المتحمّسين للظاهرة الشيعية والثورة الخمينية في إيران، وصديق للسفارة الإيرانية بتونس، ومن المساهمين في نشر قيم وأدبيات ثورة الخميني».

في العام (٢٠٠٦) التقى شاكر الشرفي في إيران

بـالرئيس الحـالي أحمـدي نجـاد، والسـابق محمـد خـاتمي، بالإضافة إلى عدد كبير من رجال الدين في كل من طهران وقم، لعلّ أبـرزهم آيـة الله التسـخيري -رئيس مجمع التقريـب بـين المـذاهب-، لكـن سرعـان مـا اختلـف الشرفي مـع السـفارة الإيرانية بتونس التي يقول: «إنها كانت تتستّر بالتشييع السياسي (ثورة الخميني) لنشر التشيّع العقائدي؛ وهما متلازمان» على حدّ تعبيره.

يقول الشرفي: «كانت الكتب و الجرائد تأتينا من إيران، وأقوم شخصيًّا بتوزيعها على الشباب والراغبين في اكتشاف المذهب الشيعي»، و يتابع: «غالبًا ما تستند السفارة الإيرانية بتونس على كتب مثل «المراجعات» للإمام عبد الحسين شرف الـدين الموسـوي، وكتـب الإمـام الخمينـي «الحكومـة الإسلامية»، و«الجهاد الأكبر»؛ لتمرير التشيع إلى السنة، كما كنـت أقـوم بتوزيـع مجـلات «الشـهيد»، و«كيهـان العربيـة»، و«الوحدة»، بالإضافة إلى شرائط الفيديو، وشرائط الكاسات».

واستنادًا إلى الشرفي المعروف الآن في المنتديات الثقافية التونسية وشبكة الإنترنت بتصديه للفكر الشيعي؛ فإنّ الاختلاف مع مسئولي السفارة كان على قضيّة «عقائدية»، لأنه ظلّ طوال أكثر من عشرين عامًا ينشر التشيّع دون أن يحسم أمره في مسألة «الإمامة»، بل ترك الباب مفتوحًا للبتّ لاحقًا في تشيّعه من عدمه.

الجامعة التونسية يراها البعض هي الأخرى مسرحًا لعمليات تشييع، فالطالب مراد.س (٢٥ سنة) يقول: «إنه تشيّع على أيدي طالب إيرانيّ يدرس اللغة العربية بتونس».

وتضلّ الإنترنت مكانًا مناسبًا لنشاط الشيعة في تونس، عبر ما يدوّنونه من مقالات، وما ينشرونه من دروس ووصلات تحيل إلى مواقع إيرانية باللغة العربية تدعو للتشيّع.

وتعتبر الجمعية الشيعية التونسية المُسماة: «جمعية أهل البيت الثقافية» (غير مرخّص لها) فضاءا للتشييع، ويترأسها تونسي يدعى عماد الدين الحمروني، كما يتردّد أن العديد من الشباب التونسي المتشيع يدرس بالحوزات العلمية في إيران.

يُوصّف الأستاذ شاكر الشرفي الظاهرة الشيعية في تونس قائلًا: «هي نبتة تنمو في غير تربتها، فليس لنا في تراثنا التونسي التشيع الإمامي (نسبة إلى الإمامية)، وإنما تشيّع إسماعيليّ (الشيعة الإسماعيلية) جاء مع الدولة الفاطميّة، وانتهى عمليًّا مع سقوط تلك الدولة»، ويتابع: «كان يمكن لظاهرة التشيّع أن تكون ظاهرة عادية، لكن الشيعة المدعومين من إيران يمارسون تأثيرًا معنويًّا و«ديماغوجيا» كبيرة على الشباب التونسيّ السنّي، فهم يعتبرون المتشيع «مستبصرًا»، ويعني ذلك: أنه كان أعمى وضالًّا ثمّ اهتدى بتشيّعه، مع ما يعنيه ذلك من تشهير لمذهبه الأصليّ فيما بعد، أي: التشهير بالمذهب السني المالكي المُهيمن في تونس والمغرب العربي».

على الرغم من أنّ الشيعة في تونس لا يمارسون عملًا سياسيًّا، ولا وجود لحزب يمثلهم، ولا صحيفة تنطق باسمهم، ولا حتى «حسينيّات» يمكن أن تُوظف لتمثيلهم كـ «طائفة»؛ إلا أنّ الشرفي يعتبر التشييع في تونس «مشبوهًا» على حدّ تعبيره.

يقول الشرفي: «برز التشييع في تونس في سياق معروف، وهو الحملة الأمنية على الحركة الإسلامية، دعمتهم الحكومة، وغضّت الطرف عنهم ولا زلت؛ لكي تستنزف حركة النهضة في قضايا عقائدية خلافية متشعّبة»، ويضيف: «همّهم الوحيد افتعال قضايا جانبيّة، ومعارك وهمية، وهم يستفيدون من العلاقات التونسية الإيرانية الطيبة».

وربّما لم يخطئ الشرفي كثيرًا بوصف العلاقة التونسية الإيرانية بالطيبة، إذ يرى متابعون أن التشيع في تونس يزدهر، ويستفيد من العلاقة الودية بين الجانبين، وعلى الرغم من أنّ تونس قطعت علاقتها بإيران في أواخر الثمانينات، إلا أنها اليوم تبدو في أفضل حال، فإلى جانب إنشاء لجنة مشتركة دائمة تنعقد كل ستة أشهر برئاسة نائب رئيس الجمهورية الإيرانية والوزير الأول التونسي، أي بمعدل اجتماع سنوي في كل بلد، فإنّ مذكرات التفاهم الاقتصادية تجاوزت الخمسين مذكرة، كما تدعم تونس العضو في مجلس حكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية حقّ الجمهورية الإسلامية في امتلاك الطاقة النووية لأغراض سلمية.

ويضلّ موقف الشيعة من الأحداث في تونس ضبابيا

للغاية وسط اتهامات بالجملة تكال لهم حول ولائهم لإيران على غرار شيعة الخليج؛ كما يقول شاكر الشرفي الذي عمل سابقًا بدائرة الشؤون الثقافية للسفارة الإيرانية بتونس، ويتخوّف من أن «يأتي يوم و يصبح شيعة تونس ورقة ضغط في أيدي الإيرانيين؛ كما يحصل في لبنان و العراق».

أما الدكتور محمد التيجاني السماوي -أبرز رمز شيعي في تونس-؛ فقال في تصريح سابق: «نحن لا نطالب لا بمسجد ولا حسينية ولا صحيفة، لأن الأمور تجري رويدًا رويدًا... أنا لا أتدخل في شؤون الحكم والحكام، ولدي مهمة أسمى من ذلك بكثير، ألا وهي: تقديم النصيحة، وكشف الحقيقة.. وأن نتجنب التعرض للنظام القائم، ولا نتآمر عليه».

ولا يختلف السيّد الهادي نوّار (٤٥ سنة/شيعي) مع السماوي في القول: «إن الشيعة لا يحملون أية ضغينة للنظام القائم في تونس، وهم موالون له وليس لإيران؛ كما يحاول البعض ادّعاء ذلك»، ويضيف: «تونس تحفظ حرية المعتقد، وأنا والعشرات من أصدقائي الشيعة التونسيين لا نتعرّض للمضايقات نتيجة تشيّعنا، نحن مواطنون قبل كل شيء، ننبذ الطائفية والتعصّب، ونريد للآخرين التسامح معنا، ونحمد الله أنّ تونس هي بلد التسامح، ووجود أقليات أخرى تعيش بسلام جنبًا إلى جنب على غرار «الأباضية»، والجالية اليهودية والمسيحيين، وكلهم يمارسون طقوسهم و شعائرهم بحرية، دليل على أنّ الشيعة لن يكونوا خطرًا على الجمهورية التونسية؛ كما يُسوّق لذلك البعض».

احتفال شيعي علني حاشد لأول مرة في السودان

«الشرق الأوسط» (١٠/٨/٢٠٠٩)

اختار الشيعة في السودان ضاحية بجنوب الخرطوم لتكون أول ظهور حاشد علني لهم في السودان، حيث احتفلوا بذكرى مولد الإمام المهدي -أحد أبرز الأئمة الشيعة-، وقال مشاركون في الاحتفال لـ «الشرق الأوسط»: إن الاحتفال الذي أقيم يوم الجمعة حضره المئات من معتنقي المذهب الشيعي في السودان، جاءوا من مختلف أنحاء البلاد. ، وقال مصدر في المجمع الفقهي الإسلامي السوداني (رسمي) معني بمتابعة الشأن الفقهي في السودان، لـ «الشرق الأوسط»: إن وجودهم معروف بالنسبة للحكومة، ولكن «لن نسمح بأي نشاط من شأنه التقليل من شأن صحابة رسول الله ﷺ»، ولا يستبعد المصدر الملاحظة التي تقول: إن المذهب الشيعي في السودان في تمدد مستمر.

وشارك في الاحتفال الذي أقيم في استراحة في ضاحية جبل أولياء -نحو (٤٠) كيلومترًا جنوب العاصمة الخرطوم- ممثلون للشيعة من مختلف المواقع في السودان؛ خصوصًا من كردفان، والنيل الأبيض، وأم ضوا بان (وسط)، ونهر النيل (شمال)، ومن بين المشاركين: طلاب في الجامعات والمراحل الثانوية، وأساتذة جامعات، وسياسيون، وصحافيون، وطلاب يدرسون في الحوزات الدينية في مدينة قم بإيران.

ويجنح كل من يتحدث عن الشيعة في السودان من الخبراء إلى التخفي، وعدم الإفصاح عن شخصياتهم الحقيقية، ورفض أكثر من شخصية سودانية معروفة بميولها نحو التشيع التعليق لـ «الشرق الأوسط» على واقعة الاحتفال الكبير في جبل أولياء.

ويتفق المراقبون في الخرطوم على أن السودان من أكثر البلدان العربية التي تشهد تمددًا في المذهب الشيعي، غير أن الأرقام تتضارب في العاصمة السودانية حول عددهم، حيث قال خبير في شؤون الحركات الدينية في السودان لـ «الشرق الأوسط»: «إن وجود المذهب الشيعي في السودان حقيقة معاشة، ولكنّ هناك تضخيمًا في أعدادهم، ويعتقد أن من يضخمون عدد الشيعة في البلاد هم منسوبو المذهب أنفسهم»، وقال: «كلهم لا يتعدون المئات القليلة»، واعتبر أن الحديث عن التمدد السريع للتشيع في السودان فيه الكثير من المبالغة، وقال: «نعم، هناك عمل للتشيع في مختلف المواقع السودانية، ولكن الأمر يمضي ببطء، والنتائج لا تأتي فورية، والسبب أن الأمر يتعلق بانقلاب عقائدي»، ولكنّ خبيرًا آخر في شؤون الحركات الدينية في السودان قال لـ «الشرق الأوسط»: «إن عددهم نحو (٧٠٠) في مختلف أنحاء البلاد».

ويرى محمد الخليفة -الخبير في شؤون الحركات

الإسلامية والدينية في السودان- أن الوجود العلني الحذر للشيعة في السودان بدأ منذ النصف الأخير للثمانينات من القرن الماضي، وهو ظهور منظم، ولكنه حذر -أيضًا-، بدأ منذ قدوم حكومة الرئيس عمر البشير؛ التي يتولى فيه الإسلاميون في السودان زمام الأمور، **وأضاف:** «إن الحركة الإسلامية التي يقودها الدكتور حسن عبد الله الترابي على مدى ظهورها في البلاد تحمل في داخلها تيارات فكرية ومذهبية»، **ومضى:** «فيهم من هو من الإخوان المسلمين، وهناك مجموعة محسوبة على السلفيين، وهناك قيادات ينظر إليها على أنها تعمل بالمذهب الشيعي، أو على الأقل تتعاطف معه»، **وقال الخليفة:** «هناك شخصيات في الحركة الإسلامية على مختلف المستويات تعرض أفكارها بصورة لا تختلف عن المذهب الشيعي»، وذكر أن العمل المنظم للشيعة في السودان بدأ عبر ما تسميه الثورة الإيرانية المستشاريات الثقافية الملحقة بالسفارة الإيرانية في الخرطوم، حيث أظهر عدد من الكتاب والشخصيات المحسوبة على الحركة الإسلامية ميولًا كبيرة للمذهب الشيعي.

ويعتقد الخليفة أن «السرية» -حتى الآن- تلازم نشاط المجموعات الشيعية في السودان، وفي الأعوام الأخيرة يشار -من بُعد- إلى أسماء سياسية وصحافية بعينها في السودان على أنها فعلًا تنتمي إلى المذهب الشيعي، ومن بين من يشار إليهم: الزعيم الديني الشيخ النيل أبو قرون؛ الذي ينحدر من واحدة من أكبر الطرق الصوفية في البلاد، معقلها منطقة أم ضوا بان شرق العاصمة الخرطوم، ولكن أبو قرون الذي اشتهر بوضع عمامة سوداء على رأسه بصورة أقرب إلى الطريقة الشيعية، نفى ما يقال جملةً وتفصيلًا في أكثر من مناسبة، ودحض روايات عن استتابته من قبل رجال الطريقة الصوفية التي ينتمي إليها بالقول: إن الأمر ليس سوى بعض الصراعات وسط أبناء العمومة على الخلافة، أي: ميراث السجادة الصوفية لطريقتهم، وإن أحدًا من العلماء الذين استتابوه لم يجلس إليه ليسمع رؤاه وآراءه التي كفروه بها، وإن العمامة السوداء اتخذت مكانها على رأسه منذ أن كان قاضيًّا في السودان.

ويرى خبراء في مجال المذهب الشيعي: أن وسائل نشر المذهب الشيعي تتمثل في الندوات التي تقيمها المستشاريات من مناسبة إلى أخرى ترتبط بالمذهب الشيعي، ومسابقات تنظم في مختلف مجالات الحياة، وعبر ومنافذ تدريس اللغة الفارسية مجانًا، وتوزيع الكتاب الشيعي بصورة واضحة على السكان مجانًا؛ خصوصًا في الأحياء الطرفية، ويقولون: إن هناك الكثير من عناوين الدراسات في الجامعات تسعى إلى تقصي النشاط الشيعي في السودان، وأن أغلب الذين يقدمون هذه العناوين من ذوي الميول الشيعية.

وحسب مصادر مطلعة تحدثت لـ «الشرق الأوسط»؛ فإن عدد الشيعة في السودان يتركزون في العاصمة الخرطوم بصفة أساسية، وقالت: إن معقلهم الثاني الناحية الجنوبية الشرقية من ولاية شمال كردفان، وفي ولاية نهر النيل شمال الخرطوم، وتشير إلى وجود مكثف لهم حول مناطق الكربة شمال السودان، وأم دم في غرب السودان.

وذكرت المصادر الحكومية المطلعة: أن وجود الشيعة وسط الطلاب واضح جدًّا، وأصبح لهم نشاطهم المستمر عبر لافتات مختلفة، وقسمت المصادر الشيعة في السودان إلى أربعة تيارات شيعية هي:

تيار الخط العام؛ وهو خط الإمام الخميني، وقالت: إن هؤلاء هم الأضعف في السودان.

وتيار الإمام محمد حسين فضل الله في لبنان، وحسب المصادر فإنهم الأكثر وجودًا في السودان؛ لأنه «تيار ديمقراطي».

وهناك تيار الإمام محمد تقي؛ المدرس من كربلاء في العراق، وهم في المرتبة الثانية من حيث العدد والانتشار.

وهناك شيعة سودانيون، أطلقت عليهم المصادر: «المحليين»، حيث لا ينتمون إلى أي تيار من التيارات السابقة، ولكنهم يؤمنون بالمذهب الشيعي.

وحسب المصادر؛ فإن الشيعة في السودان بالرغم من أن عددهم في تمدد مستمر، «ليس لديهم مشروع ديني أو سياسي محدد»، ونوهت المصادر إلى أن هناك خلافات كثيرة بين

تياراتهـا، وأشـارت في هـذا الخصـوص إلى المعلـوم أنـه كـان لديهم احتفال بذكرى المهدي في ضاحية الجريف، وليس في ضاحية جبل أولياء، وهذا ما يعكس الخلافات وتباعد التيارات الشيعية في البلاد، وطبقا للمصادر؛ فإن «الحكومة لا تعترض سبيل الأنشطة الشيعية في البلاد، لأنها ترتبط بعلاقات جيدة مع إيران، ولا ترغب في أي تدخل قد يخل بتلك العلاقة».

وتقول تقارير غير مؤكدة: إن للشيعة في السودان نحو (١٥) حسـينية، أغلـب هـذا العـدد في العاصـمة الخرطـوم، وأشهرها حسينية في الخرطوم شرق «قلب العاصمة»، ينظم فيها منتدى دوري يتناول الأمور الخاصة بالمذهب الشيعي، فيما تشير التقارير إلى أن عملها أقرب إلى السرية، «ليس تخوفًا من السلطات السودانية؛ حيث تغمض عينيها حيال نشاطها، ولكن تخوفًا من الجماعات السلفية»، وحسب التقارير؛ فإن هذه الحسينيات تلحق بها مكتبات مقروءة وصوتية، وعبرها يتم الحصول على بعثات دراسية في إيران.

ويتفق الخبراء على أن هناك ما يشبه الحبل السري بين الشيعة في السودان والطرق الصوفية، ويتفقون في الكثير من أساليب التعبد والاعتقاد، وحسب رأيهم؛ فإن هذا هو سبب عـدم حـدوث أي مصـادمات بـين التيـارات الفكريـة الدينيـة والشيعة في السودان.

حقيقة جماعة « باكو حرام » بنيجيريا

[وصلنا في «**الراصد**» من مصادرنا الخاصة هذا التقرير من نيجيريا، والذي يوضح كثير من الغموض حول الأحداث هناك، حتى يوم (٨ شعبان)] «**الراصد**»

زعيم المشكلة: هناك رجل يدعى محمد بن يوسف، كان قائد الشيعة في أواخر الثمانينات وأول التسعينات في ولاية برنو، ثم ادعى التسنن وبدأ فورًا بالوعظ في مساجد أهل السنة، واتسمت دعوته بالتشدد الموروث عن الشيعة والمعروف - وقتئذٍ- بمنع التوظف تحت الحكومة الكافرة بموجب البراءة التي يعتقدونها، وقال بكفر جميع العاملين في حفظ الأمن، وكذلك البرلمانيين، ورؤساء الحكومة.

ثم شكّل جماعة سماها: (شباب السنة)، عرفت بالدعوة إلى رفض المدارس الأجنبية، ويقصدون بها: كل المدارس الحكومية والأهلية؛ التي يدرس فيها شيء سوى الدراسات الشرعية، ومن هنا سموا: جماعة «بُوكُو حرام»، وبوكو هو المصطلح المعروف قديمًا في مدارس الاستعمار.

جذور الفتنة: تشبه هذه الجماعة جماعة التكفير والهجرة من وجوه عديدة، ولكن العجيب من أمرهم أنهم ينتسبون إلى السـنة، وينسـبون أقـوالهم إلى شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة، ويستدلون بفتاوى اللجنة الدائمة، وأئمة أهل السنة؛ كالعلامة ابن باز، والعثيمين، والألباني، والوادعي، وغيرهم! وعمدتهم كتاب الشيخ بكر أبو زيد عن «المدارس الأجنبية»، ولكنهم ينقلون فتاوى عن اللجنة الدائمة؛ ويستدلون بها وبكلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى».

انتشار الفتنة: تزايد عدد أتباع محمد يوسف منذ عام (٢٠٠٢م)؛ حتى صاروا يعدون بعشرات الآلاف، ويملأون الشوارع في أوقات دروسه، ولما قبض عليه شغبوا وضجوا؛ حتى أفرج عنه بعد مدة قليلة.

وأماكن انتشار دعوته هي: ولايات الشمال الشرقية الخمس: برنو، ويوبي، وبوثي، وغمبي، وأدماوا، ولم تعرف هذه الدعوة في سواها حتى بداية هذا العام، ثم قدم للدعوة في ولايات الشمال الغربي: كانو، وجيغاوا، وكتسينا، وسوكوتو، وكبي في هذا العام، واتبعه من هذه الولايات عدد قليل.

خطر هذه المجموعة: لقد ترك المئات بل الآلاف من الطلاب دراسة الطب والهندسة والعلوم، بل وحتى الدراسات الإسـلامية؛ وعـادوا يبيعـون الحطـب، ويغسـلون الملابـس، وبعضهم يبيع التمر والسواك على الصينية فوق رأسه، كما ترك بعض الموظفين مناصبهم ومنهم مديرون، ووزير الشؤون الإسلامية في ولاية برنو من أجل الاقتناع بدعوته.

وأول ما تنتشر دعوة هذا الرافضي في بلد يبدؤون بجمع السلاح، ويثير الدهشة نوعية الأسلحة وكميتها التي يمتلكونها! وله علاقة سرية مع جمعية المسيحيين النيجيريين (CAN) عن طريق رجلين سعيا في الإفراج عنه في محنته

السابقة، وهما: جِيرِي غَنـاَ، وتي وَايْ دَانْ جُومَـا، ثـم اكتشـف أخيرًا أن لـه علاقـة مـع سـلفية الجهـاد في الجزائـر، والثـوار في تشاد، علمًا بأن ولاية برنو في الحدود مع تشاد.

جهود العلماء في مقاومة هذا التيار: ناظر محمد يوسف عـدد مـن علـماء السنة في نيجيريـا، مـنهم: الشيخ عيسـى عـلي فنتـاني، والشـيخ إدريـس عبـد العزيـز في بـوثي، وعقـدت معـه جلسـات كثـيرة بـإشراف الشـيخ جعفـر محمـود آدم رَحِمَهُ اللهُ، والشـيخ أول آدم ألبـاني، وغيرهمـا، فأقيمـت عليـه الحجـة، وأصدرت أشرطـة كثيرة في الـرد عـلى مزاعمـه، وكتب في الـرد عليه أحد الشباب في ميدغوري اسمه: أبو مريم، ونشرت عنهم في الصحـف مقـالات كثيرة، بـل تصدى للـرد عليـه كـل علـماء السـنة تقريبًـا، وذلـك في الإذاعـات، والتلفـاز، وفي المسـاجد، وأمـاكن الـدروس والمنتـديات، حتـى عقـدت حلقـة خاصـة في الأسـابيع الأخـيرة تبـث مـن (٥) إذاعـات في بـوثي، ويـتم فيهـا الاتصـال بعلـماء السـنة؛ ليبدو رأيهـم حـول عقائـد هـذه الطائفـة، حتى الذين ما زالوا طلابًا في الجامعة الإسلامية مثل: الدكتور أبوبكر برنن كدو اتصوا عليهم، وأبدوا آراءهـم، وقـد تـاب عـدد غير قليل مـنهم في الأشـهر الأخيرة، بينما زادت شـهرة محمـد يوسـف، وتبعـه عـدد غـير قليـل -أيضًـا- مـن الهمـج والغوغـاء؛ أكثـرهم مـن الـذين لم يسـتطيعوا مواصـلة الدراسـة لظـروف اقتصادية واجتماعية.

الفتنة الحالية: استعدت هذه الطائفة للقتال منذ أشهر، وتـم الاستعداد في رجـب، ثـم أصـدروا بيانًـا صـوتيًّا بـأنهم ينتظـرون انقضاء الشهر الحرام مستدلين بقولـه تعـالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ...﴾[التوبـة:٥]، وذكـروا في البيـان: أنهـم سـيقتلون (٣٠) مـن علـماء السـنة، وسـيفجرون قنابـل في مساجدهم وأماكن دروسهم.

ومـع بدايـة شـهر شـعبان؛ تناقلـت الأنبـاء أن أتبـاع هـذه الجماعة يهـاجرون من كـل الولايـات إلى برنـو، وفقـد عـدد مـن النسـاء والأولاد الـذين راحـوا في رفقـة مدرّسـيهم إلى مركـز (بوكو حرام) في برنو.

وفي يـوم السـبت (٣) شـعبان انفجـرت قنبلـة في يـد أحـد أتبـاع هـذه الفرقـة، فعـرف أنهـم في الاسـتعداد لإعـلان القتـال، وذكر ذلك في (بي بي سي)، وسائر وسائل الإعلام.

وفي يـوم الأحـد (٤) شـعبان داهمـوا بيت أحـد المرتـدين (حسـب اصـطلاحهم في التـائبين مـنهم) في بـوثي، وتـدخلت الشرطـة، فقـاوموا مقاومـة عنيفـة، وقـاتلوا حتى قتـل مـنهم فـوق (١٢٠) شخص، ولم يقتلوا إلا ضابطًا واحدًا.

وفي يـوم الإثنين (٥) شـعبان أحرقـوا عـددًا مـن محطـات الشرطة في ولايات برنـو وبـوثي ويـوبي، وأحرقـوا بيـوت بعـض الضباط الكبار، وقتل منهم ما يزيد على مائة في أماكن مختلفة، وأعلن حظر التجوال الليلي في بوثي.

وفي يوم الثلاثاء (٦) شعبان قطعوا الطريق على سيارات جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة في ولاية كانو، وكانوا راجعين من برنامج وعظ فأوقفوهم، ولم يعرف مصيرهم إلى الآن!

وفيه حـوّل مئـات مـن الضـباط العسـكريين مـن الولايـات المجاورة إلى برنو مركز هذه الطائفة مع أسلحة ثقيلة، وأعلن حظر التجوال في عاصمة الولاية.

وفي يـوم الأربعـاء (٧) شـعبان لا يـزال الضـباط في برنـو يقتلـون كـل رجـل ملـتح وامـرأة متنقبـة، ولكـن لم يسـتطيعوا الـدخول -حتـى الآن (السـاعة الثالثـة والنصـف مسـاء)- إلى مركز هذه الطائفة، ويثير الاستغراب أنه لا يزال مئات من أتباع ابن يوسف يدخلون إلى هذا المركز بغية الشهادة، ويوجد فيه حاليًّا آلاف المقاومين!

كـل المـدن الشـمالية -الآن- في حـذر، وعلـماء السـنة أوقفوا دروسهم مخافة التفجير، وكثير من الطرق الموصلة إلى المدن صارت فارغة.

لمـاذا تغافلـت الحكومـة نشـاط هـؤلاء؟ لـدينا معلومـات قديمة تفيد بأن محمد بن يوسف كان يجمع كميات ضخمة من الأسـلحة، وهـذه المعلومـات تـأتي عـن طريـق جواسـيس الحكومة، واكتشف في برنو موضع تصنيع القنابل التابع لهـم، ومنـذ أشـهر بـاع الكثير مـنهم بيـوتهم بـأثمان زهيـدة مشـترطين الإقامـة فيهـا بضـعة أشـهر، ونقلـوا هـذه الأمـوال إلى محمـد بـن يوسـف، وقـد سـبق أن كانـت لهـم فتنـة بعـد مقتـل الشـيخ جعفـر

محمود عام (٢٠٠٧م)؛ حيث قتلوا الأبرياء، ولم يؤثر أن أحدًا منهم قبض أو قتل يومئذ، فالحكومة على علم تام بكل تحركات هؤلاء، لكن ما الذي منعها من اتخاذ أي اجراءات لإيقافهم أو الوقوف في طريق ظهورهم؟

الظاهر -والله أعلم- أنهم كانوا يتوقعون أنهم سيهاجمون الدعاة السلفيين (عدوهم الأول)، فأرادت الحكومة أن تتفرج على هذا المشهد، ثم تتدخل بعد قتل كبار علماء السنة، وربما استغلوا الفرصة فأوقعوا بالبعض، واتهموا ابن يوسف بذلك، فشاء الله أن تبدأ المعركة بحرق محطات الشرطة، وقتل ضباطهم؛ فبذلك بدأت المعركة مع الحكومة.

الأمر الثاني هو: وقوف دان جوما وجيري غنا معهم، وهما من كبار أعضاء جمعية المسيحيين، ومن المؤثرين على قرارات الشرطة والحكومة، فهم يرون في هؤلاء من يثبط عزيمة المسلمين لكي يتخلفوا عن الركب، ولا يكون لهم تمثيل في شيء من أماكن صنع القرار أو تنفيذه.

العلاقات العمانية - الإيرانية.. مغزي الطريق الثالث

عادل أبوطالب «الأهرام العربي» (٢٠٠٩/٨/٨)

تشكل العلاقات العربية - الإيرانية إحدي الإشكاليات الرئيسية في منظومة العلاقات الإقليمية بالنظر إلى حجم التجاذبات التي تعتريها؛ خصوصًا أن تلك العلاقات مرتبطة بالقضايا الكبري التي تشغل بال العرب.

وبرغم أن هناك اتجاهين غلبا على طريقة التعاطي العربية مع معضلة التعاطي مع إيران تمثلا في التحالف معها أو العكس، فإن سلطنة عمان ارتأت أن تختط لنفسها طريقا ثالثًا مميزًا، يقوم على محاولة التوفيق بين مصالح إيران في المنطقة والمصالح العربية، بما مكّنها من لعب دور همزة الوصل بين الجانب العربي الذي تنتمي إليه، وبين الجانب الإيراني.

وفي هذا الإطار جاءت زيارة السلطان قابوس بن سعيد -سلطان عمان- لإيران، التي بدأها الثلاثاء الماضي على رأس وفد رفيع المستوي؛ ليشكل بذلك أول زائر يلتقي الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بعد يوم واحد من تنصيبه رئيسًا لإيران.

ويرتكز الموقف العماني في التعامل مع المشكلة العربية الإيرانية على ضرورة التحرك باتجاه إرساء دعائم توافق بين الجانبين يضمن مصالح الجميع، وبما لا يشكل خطرًا على مصالح أي طرف، باعتبار أن الاستقرار الإقليمي يصب في صالح منطقة الخليج على وجه الخصوص، وصالح المنطقة بصفة عامة.

ويعد لقاء قابوس - نجاد الأخير هو اللقاء الثالث الذي جمع بينهما، بعد لقائهما علي هامش قمة الدوحة الخليجية العام قبل الماضي، ولقائهما خلال الجولة الخليجية التي قام بها نجاد للمنطقة أخيرًا.

وترتكز العلاقات العمانية - الإيرانية على أرضية جغرافية وتاريخية واسعة وراسخة، وهو ما وفر لها العديد من الوشائج وسبل التواصل والتفاعل القوي بين الشعبين العماني والإيراني؛ ثقافيًا، وحضاريًا، واقتصاديًا على امتداد حقب التاريخ.

وحرصت سلطنة عمان على أن تقوم هذه العلاقة على مبادئ حسن الجوار، والاحترام المتبادل، وعدم التدخل في الشئون الداخلية، والتعاون المثمر إلى أقصى مدى ممكن في مختلف المجالات؛ ليس فقط لتحقيق المصالح المشتركة والمتبادلة للدولتين والشعبين الجارين، ولكن -أيضًا- لدعم مقومات ومتطلبات الاستقرار، والحد من التوتر في هذه المنطقة الحيوية بما يعود علي جميع دولها وشعوبها، وعلى العالم من حولها بالاستقرار والإزدهار.

وإذا كانت العلاقات العمانية الإيرانية قد حافظت على استمراريتها وقوتها من ناحية، وعلى قدرتها على خدمة المصالح المشتركة والمتبادلة، وعلى توفير أفضل مناخ ممكن للعلاقات بين دول المنطقة برغم ما تعرضت وتتعرض له المنطقة من تحديات وتفاعلات من ناحية ثانية؛ فإن ذلك يعود في جانب كبير منه إلى الرصيد الإيجابي لهذه العلاقات من جهة، وإلى الشفافية والقدرة على تناول كل الموضوعات

والقضايا التي تهم الدولتين بصراحة ووضوح من جهة ثانية.

وتناولت مباحثات السلطان قابوس مع المسئولين الإيرانيين القضايا التي تطرح نفسها بقوة على كل دول وشعوب المنطقة؛ خليجيًّا، وعربيًّا، وإقليميًّا، استنادًا إلى اعتقاد سلطنة عمان بأن هناك آفاقًا لسياسات جديدة، وإمكانات لحدوث تحولات على مستويات مختلفة -إقليمية ودولية-، وهو ما يزيد من أهمية تبادل وجهات النظر بين السلطان قابوس والقيادة الإيرانية.

وخلال السنوات الأخيرة قام مسئولون إيرانيون عدة بزيارة سلطنة عمان، حيث قام الرئيس أحمدي نجاد بزيارة السلطنة في (مايو٢٠٠٧)، كما قام فخامة الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي بزيارة للسلطنة عام (٢٠٠٤)، كما قام علي لاريجاني -رئيس مجلس الشوري الإيراني- بزيارة عمان في (مايو) الماضي، وقام فهد بن محمود آل سعيد -نائب رئيس الوزراء العماني لشئون مجلس الوزراء- بزيارة إيران أكثر من مرة؛ حيث زارها في عام (٢٠٠٤)، وفي (إبريل ٢٠٠٨).

وقد رافق السلطان قابوس خلال الزيارة وفد ضم كلًّا من علي بن حمود البوسعيدي -وزير ديوان البلاط السلطاني-، ووزير المكتب السلطاني علي بن ماجد المعمري، وعبد العزيز بن محمد الرواس -مستشار السلطان للشئون الثقافية-، ويوسف بن علوي بن عبد الله -الوزير المسئول عن الشئون الخارجية-، ووزراء الاقتصاد الوطني، والتجارة، والصناعة، والصحة، والنفط، والغاز، والمفتش العام للشرطة والجمارك، والسفير العماني لدي إيران.

اليمن: من وراء ما يجرى؟

طلعت رميح «الشرق القطرية» (٢٠٠٩/٨/١)

في الأزمة اليمنية.. نحن أمام نموذج شبيه بالنموذج السوداني على نحو ما، كما أن كلاهما نموذج يختلف عن نموذج الأزمات الصومالية والأفغانية والعراقية، حيث اليمن والسودان تجرى وقائع ازمتهما بصراعاتها المسلحة، وعمليات تفكيك جغرافيتهما وجهاز الدولة المركزية، دون احتلال عسكري أجنبي مباشر على الأرض.

الأزمة اليمنية تجري من أولها إلى آخرها في ظل حكم يمني يتمتع «بكامل» السيادة على أرض الوطن - كما هو حال السودان -، وهو ما يطرح التساؤل عن من وماذا وراء ما يجرى هناك؟ إذ لو كان هناك احتلال عسكري أجنبى لكان هو المتهم، واضح الفعل والدور؛ وفق كل التجارب التاريخية التي شهدتها الدول التي عاشت أو عانت من تجربة الاحتلال؛ حيث المستعمر لا يدخر جهدًا ولا وقت إلا وكرسه في اتجاه إثارة الفتن في داخل المجتمع، وبين المقاومة والشعب، بل بين صفوف المقاومة ذاتها.

لكن الإجابة على مثل هذا التساؤل تتطلب أولًا: توصيف ما يجرى في اليمن، وتحديد ملامح الأزمة، وطريقة سير الأحداث، إذ معرفة الفاعل في الأحداث السياسية الغامضة عملية يجب أن تجرى على طريقة استنتاج الفاعل في الجرائم الجنائية؛ من خلال معرفة طريقة ارتكاب الجريمة، إذ الفاعل المحترف يختلف عن الهاوى، كما أن الأهم ليس البصمات، بل البحث عن هدف الجاني من ارتكاب الجريمة.

فى الشق الأول -فيما يجرى في اليمن- تبدو قضية الحركة الانفصالية الجنوبية التي يقودها ما يسمى بـ: «الحراك الجنوبي»، هي القضية الأحدث، والملمح الجديد، والكاشف لكل ما يجري في اليمن في مختلف المناطق.

«**الحراك الجنوبي**» يعمل على استعادة وضع اليمن المقسم تحت شعارات واضحة، وان كانت الأسباب المطروحة لا تؤدي إلى مثل تلك الأهداف.

«**الحراك الجنوبي**» هو حركة انفصالية تستهدف إنهاء الدولة والجغرافيا اليمنية الموحدة؛ لا إنهاء الشكل السياسي لطريقة حكم دولة الوحدة التي تشكلت بعد حرب الجنوب والشمال، أو هي بالدقة حركة تحاول استعادة الوضع الاستثنائي الذي مرت به اليمن، حين قسمت إلى شمال وجنوب، وأصبح لكل منهما دولة، وهو لم يكن سوى حادث عارض في التاريخ اليمني الطويل، ذلك أن الوحدة اليمنية

الحالية -بغض النظر عن العمليات السياسية والعسكرية، والأوضاع الاجتماعية- لم تكن سوى عودة إلى ما كان عليه هذا البلد عبر التاريخ.

نحن أمام حركة انفصالية لا هدف لها إلا الانفصال، والتفتيت، والتقسيم، مهما كان الحديث صحيحًا حول السياسات التي جرى تطبيقها بعد الوحدة، بما أدى إلى التهميش أوالافقار في كل انحاء اليمن، اوالاضطهاد حتى لمواطني جنوب اليمن.

«**الحراك الجنوبي**» هو حركة انفصالية، اذ لا خلاف «أيديولوجي» -الآن- بين اليمنيين؛ كما كان الحال عليه أيام حكايات الإشتراكية التي جرى الإنطلاق منها لتشكيل اليمن الجنوبي المختلف في سياساته ونظامه الاقتصادي والاجتماعي عن اليمن الشمالي.

وفى ذلك؛ نحن أمام حالة تكشف عدم قدرة النخب العربية على مواجهة تحديات الحكم، وعدم القدرة على بناء دولة موحدة، بما يعيد إلى الأذهان تلك المرحلة التي مرت بها أوروبا قبل نشأة الدولة الوطنية الحديثة، لكن في القرن الواحد والعشرين، وبالتراجع عن كل ما تحقق، وأمام حالة تكشف ما وصلت إليه جماهير الأمة التي تثبت هنا -كمثال لما هوجار في بلدان أخرى- عدم يقظتها ووعيها، أو هي حركة مؤشر إلى ما وصلت إليه جماهير الأمة من ضجر يؤدي إلى مهالك.

وفي الشق الثاني -المكون الأزمة اليمنية-: تبدو قضية الحوتيين -أوالحوثيين حسب نطق أهل اليمن- هي حالة خاصة للغاية في العالم العربي والإسلامي المعاصر، إذ هي حالة نموذج مستحدث هو الأول من نوعه، في مواجهة الدولة الحديثة التي تشكلت خلال مرحلة الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية.

في «الحالة الحوثية» نحن أمام صراع مذهبي مسلح ضد الدولة«**الحراك الجنوبي** إلى درجة تدفع إلى الحيرة في معرفة أهدافه النهائية!

في لبنان؛ حمل حزب الله السلاح وفق مشروعية مستمدة من مقاومة الإحتلال، وفى ذلك كان الحزب يعوض ضعف الدولة اللبنانية التي لا تملك طريقة ولا قدرة لطرد المحتل «كدولة»، وهو وجد في البيئة الطائفية ما يعزز وضعيته في الصراع ضد إسرائيل، وفى ذلك هو عزز موقع طائفته، وحدد معالم قوته «الجديدة»، ومن بعد حين اشتعل الصراع الداخلي استخدم هذا السلاح، لكنه عاد من بعد مجددًا وعلى عجل للحوار مع الداخل، بل هو دخل في الحكومة مرة تلو الأخرى -مع وجود السلاح بيديه في كل هذا المشوار الطويل-، لكنه لم يطرح «رؤية مذهبية لبناء الدولة»، بحكم توازنات الوضع الطائفي، وحالة التعدد والتنوع المانعة لاستئثار أي طائفة بسلطة الدولة.

لكننا في الحالة الحوتية أمام مجموعة مذهبية تحمل السلاح في مواجهة الدولة وبقية المجتمع، بما يطرح التساؤلات حول ما إذا كانت تستهدف إعادة مذهبة الدولة بالسلاح؟! وهو لا يعني في نهاية المطاف الذهاب بالأمور إلى صراع عبثي داخلي لن ينتج عنه سوى تحطيم المجتمع والدولة، والدخول في دوامة حرب أهلية إذا ما انفكت الدولة، واذا لم يكن ذلك هو هدفها، فليس هناك سوى هدف إقامة كيان مذهبي مصغر على جزء من أرض الدولة، في تلك البقعة التي تنشط فيها، وهو ما يطرح تساؤلات عميقة حول حالة الإنبعاث الحضاري الراهنة؛ التي ما تزال تطرح الإسلام كمذاهب، وفرق تستقي فكرها وتجاربها ومواقفها من آخر مراحل التخلف الحضاري، دون قدرة على ميلاد تيارات حديثة قادرة على تجديد الرؤى ومراجعة تلك المراحل التي مرت بها الحركات الإسلامية خلال ما قبل الحقبة الاستعمارية.

وفي الشق الثالث: فنحن أمام ترد اقتصادي واجتماعي وسياسي في إدارة الدولة «الوطنية»، بات ينتج بؤرًا صديدية في داخل المجتمع، تتنوع أشكاله، وتتعدد مخاطره، دون قدرة من النخبة الحاكمة على إعادة تدوير كراسي الحكم بينها؛ لدرء مخاطره وإعادة المشروعية للدولة ولوجودها، ولا نقول: بما يعيد للحكم مشروعية بقائه؛ إذ المهدد -الآن- بقاء الدولة؛ لا استمرار الحكم، وهو ما يطرح تساؤلات حول «الدور التاريخي» لنخب الحكم العربية؛ التي بدأت الحكم بعد

الاستقلال على أساس فكرة الوطن ومواجهة المستعمر، وها هي تترك الساحة -الآن- للاضطرابات، والحروب، والفتن الداخلية، وما يهمها هومصالحها، ومن أقرب إليها في الحكم ومؤسساته.

وبتوصيف ملامح الأزمة وتساؤلاتها يمكن البحث عن من وراء تفجير الأوضاع على هذا النحو في اليمن، لكن فهم الأزمة اليمنية يتطلب أولًا: مراجعة حالات التشابه والاختلاف بينها وبين الأزمات الأخرى الناشبة في المنطقة للقياس عليها.

اليمن والسودان:

تبدو الأزمة اليمنية أقرب إلى الأزمة السودانية؛ من زاوية أن كلا البلدين يجري تفكيكهما، وتتصاعد أزمتهما؛ دون وجود احتلال خارجي مباشر، وفي واقع المجريات على الأرض فإن ثمة مجالات أخرى للتشابه، إذا كان محور صراع الجنوب في كلا البلدين مختلفًا عن الآخر في زاوية الشعارات المطروحة أساسًا للصراع -جنوب السودان يطرح شعارات: الهوية، وجنوب اليمن على أساس أفكار التهميش والظلم-، فان النتيجة تكاد تكون واحدة: الجنوبان يسعيان للانفصال عن جسد الجغرافيا السياسية للدولة، وفي ذلك يمكن القول بأن التحرك في جنوب اليمن هو قريب الشبه -أيضًا- بما يجري في دارفور؛ إذ أن كلا من متمردي جنوب اليمن ومتمردي دارفور لا يتمايزان عرقيًّا أوحضاريًّا عن بقية المجتمع، وإن كان «اليمني» يطرح انفصالًا، بينما متمردو دارفور لم يطرحوا هذا الأمر بعد، وإن كانت كل ممارساتهم ومواقفهم تسير إلى هذا الاستهداف برفضهم كل محاولات الحوار مع الحكومة السودانية، ودأبهم على افشال ما يبدأ عبر وسطاء عرب أو أجانب حتى.

لكن التشابه بين الأزمتين له أبعاد أخرى كاشفة أكثر بما تطرح من دلالات أبعد، في الأزمة السودانية نحن أمام تعدد القوى الذاهبة إلى تفكيك وإضعاف جهاز الدولة بالعنف المسلح؛ سواء من قوى التمرد في الجنوب -عبر تاريخ مرير من الصراع-، أو من القوى المتمردة في دارفور، كما القوى التي تمثل عصب ومركز الدولة هي قوى -أيضًا- في حالة تصارع مع بعضها البعض ومع الحزب الحاكم، إلى درجة تأييد التدخل الخارجي؛ كما هو حال حزب المؤتمر الشعبي وحزبي الأمة والاتحادي، وذلك هو ذات النمط الذي يعيشه اليمن -الآن- من هذه الزاوية العامة؛ إذ تعانى الدولة من الإنهاك في الصراع العسكري والسياسي مع الحوتيين، وقبل أن تفيق أو تحقق نصرًا واضحًا عاجلها «الحراك الجنوبي» الإنفصالي وبالقوة المسلحة -أيضًا-، كما أن كلا التمردين جاريان، بينما مركز الحكم وقواه السياسية والاجتماعية ومؤسساته تعاني جميعها من الاضطراب والاختلاف بين الفرقاء!

وفي الأزمة السودانية نحن أمام قوى واتجاهات متعددة، في مناطق مختلفة من إقليم الدولة السياسي (في الجنوب، والغرب، والشرق)، تسعى جميعها إلى إسقاط الدولة المركزية وتفكيكها، أو إعادة بنائها على أسس أخرى، وهو ذات الأمر الذي يجرى في اليمن؛ الذي أصبحت الدولة المركزية فيه في مواجهة هجوم وتمرد انفصالي في الجنوب، وآخر في الشمال -في المناطق التي يسيطر عليها الحوتيين-، بما يحملها أعباء ضخمة؛ إذ ان الدولة المركزية تعاني أصلًا من حالة ضعف تاريخية في بنيتها وقدراتها، لم تفلح كل الجهود التي بذلت في تقويتها.

غير أن الأهم من كل ذلك هو: أن كلا الحكومتين: السودانية واليمنية تتحدثان في دعايتهما الموجهة ضد المتمردين عن تلقيهم دعمًا خارجيًّا بما يقويها في مواجهة الدولة، ويحقق لها نفوذًا داخل المجتمعات -خاصة الفقيرة-، وأن تلك الحركات تعمل وفق أجندات خارجية، وضد مصالح المجتمعات.

طبيعة الدور الخارجي: في تحديد طبيعة الصراع يبدو الأهم -من وجهة نظر الحكام والحكومات- هو: أننا أمام تساؤلات جدية حول الدور الخارجي في دعم الحركات الإنفصالية، وأعمال الإنهاك والتفكيك للدول والمجتمعات العربية والإسلامية.

من المفهوم أن الخطة الغربية للصراع ضد الدول الأخرى تجري في المرحلة الراهنة وفق قاعدة تفكيك الدول، وتغيير الخرائط السياسية الوطنية؛ التي تحققت عقب

الإستقلال، وفي واقع الأمر يبدو واضحًا أن الدعم المالي الخارجي حادث في كل الحالات الإنفصالية الجارية في منطقتنا؛ وهي -في أغلب الأحوال- تجري في مناطق فقيرة ومهمشة، بما يعني أن أهل تلك المناطق غير قادرين على توفير الدعم المالي لتلك الحركات، وهو ما يظهر في عمليات التسليح والإنفاق على المجموعات القتالية؛ التي تحتاج إلى ميزانيات سنوية بالملايين.

كما يمكن القول -من متابعة التطورات-: إن هناك دعمًا سياسيًّا وديبلوماسيًّا وإعلاميًّا لكل الحركات الإنفصالية، ممثلًا في مساندة اقتراحات وآراء تلك الحركات، والترويج له في المؤسسات الدولية وفي أوساط الإقليم وبين حكوماته، ومن خلال فتح أجهزة الإعلام أمام العناصر القيادية لتلك الحركات، كما الدعم الخارجي يتمثل -أيضًا- في دورات التدريب، ونقل الخبرات للعناصر السياسية والإعلامية والعسكرية... إلخ.

لقد كان نموذج العراق كاشفًا لأبعاد الفعل الخارجي قبل العدوان؛ إذ تبنت ايران مجموعات سياسية بعينها سلحتها، ودربتها، وأمدتها بالمال والخبرة، كما دخلت إسرائيل على خط دعم حركات انفصالية بكل الوسائل والطرق، بما أنهك النظام العراقي، وهيأ أوضاع الإنفصال الجارية.

وفي الحالة السودانية جرت اتهامات عديدة -بل صدرت اعترافات من المتمردين أنفسهم- لدول خارجية ودول في الإقليم بامداد حركات التمرد في جنوب السودان وفي دارفور، وهكذا الحال في اليمن -أيضًا-؛ إذ صدرت اتهامات من جهات رسمية يمنية لأطراف إقليمية ودولية بدعم حركات التمرد وإسنادها، وهو ما تدعمه الأحداث الجارية بالوقائع؛ سواء بالنسبة لأعمال «الحراك الجنوبي» أو بالنسبة لتحركات ودور الحوتيين، لكن الاقتصار على هذا الفهم -وأيًّا كانت درجة صحته- لا يقدم الإجابة الحقيقية الكاملة عن من وماذا وراء ما يجري في اليمن وغيرها؟!

الدور الداخلي: مع التسليم بالدور الخارجي وارتباطه بمصالح الدول الاستعمارية، بل وحتى الدول الإقليمية ذات المصلحة في إحداث القلاقل في هذا البلد أو ذاك؛ فإن الأصل في الأمر هو: لماذا تتمكن الدول الأخرى من إحداث مثل تلك الاختراقات في داخل هذه الدول التي تملك كل الحقوق في السيطرة على مجتمعها وإدارته؟

والإجابة -بوضوح-: إن العامل الداخلي هو ما يهيىء الأجواء لتلقي الرأي العام لتلك الحركات، والتعاطف معها على هذا النحو أو ذاك، وبالدقة إن نظم الحكم -كمسيرة تاريخية- هي المسئولة عن وصول المجتمعات إلى هذه الدرجة من التفكك؛ بفعل الفساد، والاضطهاد، وعدم الكفاءة، وغلبة المصالح الضيقة لنخب الحكم على مصالح المجتمعات والدول، بل هي المسئولة عن تدهور الروح والولاء الوطني، وسيادة النزعات العرقية والقبلية والجهوية في داخلها.

العلاقات الخليجية الإيرانية: صراع التهديدات والتطمينات

عبد العزيز بن عثمان بن صقر «الشرق الاوسط اللندنية» (٢٠٠٩/٧/٣١)

لم تسفر نتائج الانتخابات الرئاسية الإيرانية التي توجت بإعادة انتخاب أحمدي نجاد لفترة رئاسية ثانية عن أية مفاجآت لمراقبي الموقف في دول الخليج العربي، فنحن -هنا- في منطقة الخليج بالخصوص، والعالم العربي بشكل عام لا يهمنا من يحكم إيران، ولا يهمنا كيف تدار شؤون الدولة الداخلية؛ فهذا شأن داخلي إيراني يرسم العلاقة بين الحاكم والمحكوم لا يعنينا كثيرًا.

ما يعنينا وبشكل جذري وأساسي هو كيف تدار علاقة إيران الخارجية مع جاراتها، وكيف تتصرف إيران في محيطها الإقليمي، ضمن هذا المفهوم المحدد والواضح المعالم جاءت أخبار إعادة انتخاب أحمدي نجاد لفترة رئاسية ثانية؛ كتطور سلبي، وكخبر لا يدعو إلى الاطمئنان على جميع مستويات الأبعاد السياسية الإقليمية؛ خليجيًّا، وعربيًّا، وربما دوليًّا، فلا يوجد سر أو لغز نحتاج لانتظار تجليته في سياسة

الرئيس نجاد الإقليمية؛ خاصة في ظل تجربة السنوات الأربع الماضية التي عانت دول المنطقة خلالها من سلوك إيران غير الودي، والمواقف الباعثة على الشك وانعدام الثقة تحت رئاسة الرئيس أحمدي نجاد.

وكان الخلاف الداخلي الذي تطور على أثر ظهور نتائج الإنتخابات الرئاسية، واتهامات التزوير والتلاعب بنتائجها النهائية لصالح ضمان عودة نجاد إلى سدة الرئاسة لأربع سنوات قادمة دلت على حقيقة أساسية مفادها: **أن قيادة الدولة العليا الدينية والدنيوية المتمثلة في شخص الولي الفقيه والمرشد الأعلى للثورة الإيرانية ترغب باستمرار قيادة نجاد للدولة بأي ثمن، وتحت أي ظرف من الظروف؛ وهنا تكمن خطورة الأمر!**

فالمرشد الأعلى يمثل قمة هرم السلطة الدينية والسياسية التي لا يمكن تحديها أو مخالفتها، وهذه السلطة المطلقة سياسيًّا وشرعيًّا تؤمن أن استمرار قيادة أحمدي نجاد كرئيس للدولة هو أمر صائب، بل ضروري لخدمة مصالح إيران الدولة ومصالح إيران الثورة.

فالمرشد الأعلى لم يخف تأييده ودعمه لأحمدي نجاد قبل بداية الحملة الإنتخابية، وخلال الحملة، وبعد ظهور النتائج، وخلال مرحلة التشكيك بمصداقيتها، إلى مرحلة تدخله شخصيًّا لحسم الخلاف لصالح «الابن البار».

نتيجة الانتخابات الرئاسية الإيرانية أفرزت حقيقة علينا مواجهتها -هنا- في منطقة الخليج، والعالم العربي، فنحن -اليوم- أمام أربع سنوات إضافية من التعامل مع إيران تحت قيادة أحمدي نجاد، ولا نجد من الصعوبة بمكان تحديد معالم العلاقات الخليجية - الإيرانية، أو العربية - الإيرانية خلال السنوات الأربع القادمة، على ضوء الحقائق التي أفرزتها تجربتنا خلال السنوات الأربع الماضية في تعاملنا مع إيران تحت قيادة الرئيس أحمدي نجاد، **فقد اتسمت علاقات إيران مع جاراتها من الدول الخليجية والعربية بتبني إيران سياسة هجومية وتدخلية في الشؤون الداخلية لعدد كبير من الدول العربية، وبموقف ينم عن رغبة إيرانية في فرض الهيمنة والاستعلاء.**

فخلال السنوات الماضية شهدنا عودة «غير رسمية» للطموحات الإيرانية في دولة البحرين العربية، وشهدنا تكرار التهديدات بإغلاق مضيق هرمز، وإمكانية «إحراق المنطقة» إن دعت الضرورة، وشهدنا تصعيدًا مقلقًا في سياسية إيران التدخلية في الشؤون اللبنانية، والعراقية، والفلسطينية، وربما اليمنية، وشهدنا تصعيدًا في استخدام واستغلال السياسة الإيرانية للورقة الطائفية في العالم العربي، كل هذه الممارسات تمت من أجل دعم المصالح السياسية والاستراتيجية للنظام الإيراني، ودعم السياسية التدخلية، وتأسيس مراكز النفوذ للتأثير في سير وتطور السياسة الداخلية للدول العربية، وزعزعة أمنها واستقرارها، وشهدنا مزيدًا من التعنت والرفض في تسوية مشكلة الجزر العربية الثلاث المحتلة من قبل إيران، وشهدنا إصرارًا على تجاهل إيران لقرارات الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وقرارات مجلس الأمن الدولي؛ التي تطالب إيران بوقف أنشطة تخصيب اليورانيوم، وفتح أبواب منشآت برنامجها النووي للمراقبة والتحقق الدولي.

الدعم العلني الذي قدمه المرشد الأعلى لضمان عودة أحمدي نجاد إلى سدة الرئاسة يحمل في طياته إشارات مؤكِّدة أن سياسة الرئيس أحمدي نجاد تتطابق مع رغبات ومواقف القيادة العليا في سلّم السلطة، ولا تُعدّ سياسة أو مواقف شخصية تعكس أسلوب الرئيس الفردي في الحكم.

فالمرشد الأعلى وقيادات الجناح المحافظ في السلطة؛ والتي تُعَدّ القوة الرئيسية التي تحكم الدولة اليوم تنظر إلى سياسة الرئيس أحمدي نجاد بعين الرضا، وتؤمن أن هذه السياسة تمثل الأسلوب الناجع في خدمة مصالح الدولة العليا، فسياسة الرئيس أحمدي نجاد تُعَدّ انعكاسًا وترجمةً لأفكار ومواقف القيادة العليا، لذا فإن عودة نجاد إلى سدة الرئاسة تُعَدّ الضمان المطلوب لاستمرارها.

من هذا المنطلق؛ فإن دول مجلس التعاون الخليجي وباقي الدول العربية مقبلة على أربع سنوات أخرى في مواجهة سياسة إيرانية متشددة، تقوم على تبني استراتيجية تدخلية

تضمن للقيادات الإيرانية دورًا مؤثرًا في مسيرة التطورات الداخلية في العالم العربي، وتضمن تصاعد نزعة الهيمنة والسيطرة الإقليمية، وتضمن مسيرة متسارعة للمشروع النووي الإيراني.

ومن الممكن القول: إن جميع مكونات سياسة إيران الإقليمية خلال السنوات الأربع القادمة ستصب في اتجاه تحقيق الهدف الأساسي والمتمثل في ظهور إيران كقوة رئيسية على المستوى الإقليمي، وضمان إحداث تغيرات جذرية في موازين القوى الإقليمية، تؤدي إلى تلاشي أو إضعاف الدور الخليجي والعربي.

دول مجلس التعاون الخليجي ستواجه تحديًّا جماعيًّا؛ آجلًا أم عاجلًا، يتمثل في ترسيخ سياسة الرئيس أحمدي نجاد الإقليمية، وتعميق آثارها السلبية، مما سيؤثر في أمنها الداخلي والخارجي، وعلى استقلالها واستقرارها السياسي، وازدهارها الاقتصادي، وعلى مكانتها الدولية، وعلاقاتها الخارجية، وتحالفاتها الاستراتيجية.

لذا؛ فإن تبلور الموقف الخليجي الموحَّد تجاه الطموحات الإيرانية يعد مطلبًا أساسيًّا أكثر من أي وقت مضى؛ رغم تباين المصالح والرؤى بين أعضاء دول مجلس التعاون تجاه فهم أو تفسير النيات والطموحات الإيرانية، **فالمصالح الاقتصادية لبعض دول مجلس التعاون الخليجي يجب ألا تكون عائقًا في تطوير موقف استراتيجي موحد ومحدد المعالم في مواجهة الطموحات الإيرانية الواسعة؛ التي تشكل تهديدًا قائمًا أو كامنًا لجميع الدول الخليجية.**

فحماية المصالح الاقتصادية لا يكون ولا يجب أن يكون على حساب التضحية بالمصالح الاستراتيجية العليا، والمصالح الاقتصادية مهما توسعت وعظمت لا يمكن حمايتها أو المحافظة عليها في ظل انعدام التوازنات الاستراتيجية، وفي ظل نزعة القيادة الإيرانية لتجاوز حقوق السيادة، وعدم احترام أسس استقلالية القرار في دول مجلس التعاون.

فما أصاب عددًا من الدول العربية الشقيقة من ويلات السياسة التدخلية الإيرانية، ومن ويلات اللعب على الورقة الطائفية، ونزعة بناء مراكز القوى والنفوذ داخل المجتمعات العربية سيصيب دول الخليج؛ عاجلًا وليس آجلًا، إن استمرت حالة عدم الاتفاق على تبني المواقف الموحدة، وإظهار وحدة الصف والإيمان بوحدة المصير؛ فسياسة قصر النظر، وحماية المصالح الذاتية، وتبني سياسة تعتمد على المواقف الشخصية لن تفرز إلا سياسة خاطئة وخطيرة، ستأتي بالويلات على دول الخليج ومجتمعاتها، فمسيرة ونتائج الإنتخابات الإيرانية ما زالت تعد شأنًا داخليًّا يخص الشعب الإيراني حصرًا، ولا علاقة لنا به من قريب أو بعيد، ونرفض أي تدخل خارجي في شؤون إيران الداخلية.

ولكن سياسة إيران الإقليمية والخارجية هي شأن يخصنا في الصميم، ولنا الحق وعلينا الواجب في حماية مصالحنا، وصيانة أمن واستقرار دولنا ومجتمعاتنا من الآثار السلبية التي تولدها طموحات إيران الإقليمية، نحن في دول الخليج العربية أثبتنا عبر السنوات الماضية حرصنا الصادق - قادةً وشعوبًا - على عدم التدخل في الشأن الداخلي الإيراني، وعدم امتلاكنا لطموحات تتجاوز حدودنا الجغرافية، ولا تمتلك إيران دليلًا واحدًا يثبت عدم صدق هذه الحقيقة.

لذا؛ فإن من حقنا أن نطالب إيران بالمثل، ومن واجبنا اتخاذ جميع الوسائل والسبل لتعزيز وحدتنا، وصيانة أمننا واستقلالنا، وهذا واجب وأمانة تقع في رقاب القيادات الخليجية، وهو مطلب ومتطلب طبيعي ومشروع يطالب به كل مواطن غيور في دول مجلس التعاون الخليجي.

إعادة ائتلاف الشيعة في العراق.. مصاعب في الطريق

سامي شورش «إيلاف» (١٠/٠٨/٢٠٠٩)

يرجح مراقبون سياسيون مطلعون على طبيعة الصراعات الجارية بين القوى الشيعية في العراق أن تواجه الجهود التي يبذلها المجلس الإسلامي العراقي بزعامة السيد

عبد العزيز الحكيم لإعادة إحياء قائمة الإئتلاف الموحد؛ التي فازت في انتخابات العام (٢٠٠٥) ؛ أن تواجه صعوبات جمّة.

صحيح، قد يتمّ الإعلان عن تجديد القائمة وتوسيع قاعدتها خلال أيام، غير أن الخلافات بين رئيس الوزراء - رئيس حزب الدعوة الإسلامية - نوري المالكي، وأطراف في القائمة -في مقدمها المجلس الإسلامي، والتيار الصدري بزعامة مقتدى الصدر - قد تعيق الإعلان، أو تعيق موافقة حزب الدعوة الحاكم في إطار الإئتلاف الموحد على الانضمام مجددًا إلى القائمة.

معروف أن المالكي واجه خلال سنوات حكمه الأربع الماضية مشكلات كثيرة مع شركائه في الإئتلاف، بينها: المواجهات الدامية مع جيش المهدي، والخلافات مع الحكيم حول مفهوم الدولة المركزية، ودور الفرد في اتخاذ قراراتها، وعلى الرغم من جهود خفيّة بذلتها إيران لرأب الصدوع؛ ظلت الخلافات قائمة في الخفاء مع المجلس الإسلامي، وفي العلن مع التيار الصدري، وحزب الفضيلة.

في هذه الغضون يؤكد أكثر من مصدر مطلع في بغداد أن إيران تمارس ضغوطًا غير معلنة على جميع القوى الشيعية في العراق، بهدف إقناعها بالتمسك بقائمة الإئتلاف، وإعادة تجديدها وتنشيطها في الإنتخابات المقبلة، من دون المساس بآلياتها الرئيسة، لكن المصادر نفسها تشير إلى أن المالكي لا يعترض على إحياء قائمة الإئتلاف، لكنه يشترط لإحيائها جملة قضايا بينها: أن تحمل القائمة اسم: «دولة القانون»، وأن يتولى هو قيادتها، وأن يعاد ترشيحه لولاية ثانية مع رفع الحصة التمثيلية لحزب الدعوة في البرلمان والحكومة المقبلتين.

إلى هذا يلمّح إلى ضرورة تضمين الإعلان أفكارًا تسمح بدخوله مستقبلًا في حوار سياسي مع مجموعات عربية سنية متشددة، وكبار الضباط السابقين من بقايا البعث.

لا تبدو إيران معترضة على ضمّ تيارات سنية عربية إلى القائمة، لكن الواضح أنها تعترض بشدة على ضمّ البعثيين، أو بقاياهم، أو ضباطهم العسكريين؛ خصوصًا ممن شاركوا في الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨) ، أما المجلس الإسلامي؛ فإن اعتراضه ينصب على زيادة ممثلي حزب الدعوة، وتحويل قيادة الإئتلاف إلى المالكي، كما يعترض على الحوار مع -أو ضمّ- التيار البعثي التابع لنائب رئيس مجلس قيادة الثورة المنحل عزت إبراهيم الدوري إلى العملية السياسية، مشددًا على أن خيار الحوار مع البعثيين إذا كان لابد منه؛ فالأحسن إجراؤه مع البعثيين العراقيين الموالين لسورية، أو التيار البعثي الذي يقوده يونس الأحمد المقيم في دمشق.

إلى ذلك توضح المصادر المطلعة أن كثيرًا من الخلافات الإجرائية بين الأطراف قد تم التغلب عليها، لكن الخلاف الأشد ظلّ فاعلًا بين الثلاثي الرئيسي: الحكيم، والمالكي، والصدر، فالمالكي من ناحيته لمّح إلى استعداده للقبول بالاقتراح الصدري الخاص بتسمية التحالف: (قائمة الإئتلاف الوطني العراقي)، كما ألمح إلى موافقته على تأجيل البتّ في مسألة الحوار مع مجموعات عربية سنية توصف في العادة بالمسلحة، أو الإرهابية، أو المتشددة، إلى مرحلة ما بعد الانتخابات المقبلة، لكنه رفض القفز على ضرورة موافقة بقية الأطراف على زيادة الحصة العددية لممثلي حزب الدعوة في البرلمان المقبل، ومنحه حق قيادة الإئتلاف، وتجديد الولاية له في رئاسة الوزراء.

لكن ماذا عن إيران؟ المصادر ذاتها رجحت تراجع الدور السياسي لطهران في تشكيل القائمة الشيعية الجديدة في العراق نتيجة انشغالها بصراعاتها الداخلية التي أعقبت الانتخابات الإيرانية الأخيرة.

أما المالكي؛ فقد حاول استثمار الاجتماع الذي عقده مع الرئيس العراقي (الكردي) جلال طالباني، ورئيس إقليم كردستان مسعود بارزاني في منتجع دوكان، في اتجاه ضمان دعمهما لرؤيته الخاصة حيال تجديد التحالف الشيعي، لكن الأكراد المنهمكون في مشكلاتهم مع بغداد -بشكل عام-، والمالكي -بشكل خاص- فإنهم أكدوا أن دعمهم مشروط بمدى جدّيته في حلّ المشكلات العالقة مع إقليم كردستان بشكل دستوري.

في كل الأحوال؛ قد يتم الإعلان عن إحياء قائمة الإئتلاف بين القوى السياسية الشيعية في غضون أيام، لكن من

غير المعروف -على الأقل حتى الآن- ما إذا كان المالكي مستعدًا للإنضمام إليها! أم أنه سيفضّل البقاء على مسافة منها، وإعلان قائمته الخاصة باسم: «قائمة دولة القانون»؛ كما حدث في انتخابات مجالس المحافظات قبل أقل من عام؟

رجال دين شيعة عائدون من إيران: لم نجد دافعًا كبيرًا للدراسة في حوزة قم

قاسم الكعبي «الشرق الاوسط» (٢٠٠٩/٧/٣١)

تحظى الحوزة الدينية في النجف بأهمية خاصة لدى طلبة العلوم الدينية بسبب قربها من ضريح الإمام علي بن أبي طالب، الأمر الذي منحها بعدًا روحيًّا، وأدى سقوط النظام العراقي السابق، واستقرار الأوضاع الأمنية في المدينة المقدسة لدى الشيعة إلى عودة عدد من علماء الدين والطلبة للالتحاق بالعمل الديني والتبليغي، بعد هجرة عدد كبير منهم في زمن الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين إلى مدن شيعية أخرى؛ خصوصا مدينتَي قم ومشهد في إيران، بسبب المضايقات وعمليات التهجير التي تعرضوا لها في النجف آنذاك.

وقال الشيخ محمد علي (طالب في الحوزة الدينية في النجف): «إن عددًا من المرجعيات الدينية، والفضلاء، والمجتهدين عادوا بعد سقوط النظام السابق وعلى فترات متعددة من الزمن إلى مدينة النجف لإكمال دراستهم الدينية في الحوزة»، **وأضاف الشيخ علي** لـ «الشرق الأوسط»: «أن ثلاثة مراجع عادوا إلى النجف، وهم: آية الله الشيخ شمس الدين الواعظ؛ الذي خرج من العراق بعد الانتفاضة الشعبانية عام (١٩٩١)، والمرجع آية الله الشيخ محمد الخاقاني؛ الذي غادر العراق إبان حكم النظام السابق بعد مضايقته من قِبل أزلام النظام، والمرجع الديني آية الله محمد علي العلوي؛ والذي كان قد هاجر في زمن النظام الصدامي».

وأكد الشيخ علي أن: «هؤلاء المراجع درسوا في حوزة النجف، وأكملوا دراستهم في إيران، ونالوا درجة الاجتهاد فيها، وقد قلدهم الكثير من الأشخاص داخل وخارج العراق، لذا فتحوا مكاتب لهم في النجف».

فيما أفادت مصادر لـ «الشرق الأوسط» -لم تكشف عن هويتها- «أن هنالك عددًا من مراجع الدين وطلبة حوزة سوف يأتون إلى النجف لإكمال دراستهم، وفتح مكاتب لهم، وذلك عقب الأحداث الأخيرة التي شهدتها إيران».

ومن جهته؛ قال لطيف العميدي (أستاذ في الحوزة الدينية في النجف): «إن النظام السابق قد حارب علماء وطلبة الحوزة الدينية بشكل كبير، مما أجبر الكثير منهم على مغادرة العراق بطرق عديدة، فمنهم من هاجر إلى إيران، وآخرون إلى سورية ولبنان، وغيرهما من الدول الإسلامية الأخرى؛ حيث أكملوا دراستهم هناك»، **وأضاف العميدي** لـ «الشرق الأوسط»: «أن أغلب رجال الدين عادوا إلى النجف؛ إما لإكمال دراستهم، وإما للتدريس في الحوزة الدينية، وفتحوا مكاتب لمساعدة الناس الفقراء».

وفي ما يخص اختيارهم لحوزة النجف دون غيرها، قال العميدي: «إن الحوزة الدينية في النجف تأسست منذ أكثر من ألف سنة، ولها تاريخ طويل يجعلها في مقدمة الحوزات الدينية في العلم الإسلامي»، **مضيفًا أنه**: «يوجد في الحوزة كبار مراجع الدين الشيعة، وكل طالب دين يتمنى أن يأخذ تعليمه الديني تحت إشراف أحد المراجع المعروفين في النجف».

وحول التشكيك بعلم بعض مراجع الدين الذين لم يدرسوا في النجف، قال العميدي: «إن هناك اتفاقًا بين أغلب رجال الدين أن كل من يحصل على درجة الاجتهاد دون أن يدرس في حوزة النجف يشوب اجتهاده الضعف والفتور»، **مضيفًا أن**: «كبار مراجع الدين يتشرفون ويفتخرون بأنهم درسوا في حوزة النجف».

وقال أستاذ في الحوزة الدينية في النجف بأنه هاجر «من العراق في تسعينات القرن الماضي نتيجة المضايقات من قِبل أزلام النظام السابق؛ حيث كانوا يراقبون رجال الدين، إضافة إلى مداهمة منازلهم بين فترة وأخرى، مما أجبرني على الذهاب إلى مدينة قم في إيران؛ لأكمل دراستي الدينية لا غيرها»، **وأضاف أستاذ الحوزة** -الذي رفض الكشف عن

اسـمه - لـ «الشرق الأوسـط»: «أن السـنوات التـي قضـيتها في إيران لم تعطني دافعًا كبيرًا للدراسة مثلما هو موجود في حوزة النجف؛ حيث لـديها روحانيـة وقدسية تختلف عـن الحـوزات الدينيـة الأخـرى»، **مضـيفًا:** «بعـد سـقوط النظـام عـدت إلى النجـف لإكـمال دراسـتي الدينيـة تحـت إشراف كبـار مراجـع الـدين، وفي الحقيقـة أنـا سـعيد جـدًّا أن أحصـل عـلى درجـة الاجتهاد من حوزة النجف».

جريمة برقبة المجلس الإسلامي الأعلى

عدنان حسين «أوان الكويتية» (٩/٨/٢٠٠٩)

منـذ العـام (٢٠٠٣) باتـت الهجـمات عـلى فـروع المصـارف ومكاتـب الصـيرفة بـدافع السرقـة مـن الأمـور المعتـادة في العـراق، مثلهـا مثـل التفجـيرات، والهجـمات المسـلحة عـلى الأهـداف الحكوميـة والأهليـة؛ مـن دون أي تمييـز، أو تحسـب لسـقوط ضـحايا مـدنيين يصـل تعـدادهم - أحيانًا - إلى المئات، وهي جميعًا عمليات لا تنحصر الجهات المنفـذة لهـا بـالقوى المعارضـة للنظـام، وإنـما تشـمل قـوى في النظام عينه.

وعلى الرغم من الاعتياد على هجمات من هذا النوع، فـإن حـادث السـطو عـلى فـرع «مصرف الرافـدين» في منطقـة (الزويـة)، في وسـط بغـداد، نهايـة الشـهر المـاضي؛ غـدا قضـية الـرأي العام الأولى التي لم يتوقف السجال بشأنها في مختلف أنحـاء الـبلاد، والسـبب أن الحـادث حـرّر الألسـن مـن عقـدتها، وجعـل المسكوت عنه رسميًّا متداولًا علنًا، بعدما كـان الكـلام فيـه يجري بـالهمس في الأماكن العامة، وبـالنبرة الواطئة خلـف الجدران والأبواب المغلقة.

وما حدث في (الزوية): أن مجموعة مسلحة دخلت مبنى المصرف مـن دون أن تخلـع بابًـا، أو نافـذة، أو تهـدم جـدارًا، وقتلـت بـدم بـارد حـراس المبنـى الثمانيـة، وسرقـت ثمانيـة مليـارات ونصـف مليـار دينـار عراقـي (أكثـر مـن سـبعة ملايـين دولار أميركـي)، ومـا جعـل الحـدث قضـية رأي عـام أن وزارة الداخليـة اكتشـفت أن العصـابة الإجراميـة نقلـت الأمـوال المسروقة وخبأتها في مقر صحيفة «العدالة»؛ التي تصدر عن «المجلـس الإسـلامي الأعـلى» بزعامـة عبـد العزيـز الحكـيم، ويشرف عليها القيادي في المجلس، ونائب رئيس الجمهورية عادل عبد المهدي.. والأنكى أن رئيس العصابة الإجرامية هو ضابط في سرية حماية السيد عبد المهدي.

بعـدما أعلنـت وزارة الداخليـة عـن معلوماتهـا بشـأن الجريمـة سـعى المجلـس والسـيد عبـد المهـدي إلى النـأي بنفسيهما عنها، ولاما وزارة الداخلية ووزيرها، والناطق باسم الوزارة؛ لأنهم «تعجلوا» في الإدلاء بالمعلومات.

حتى يوم الخميس الماضي كنت شخصيًّا متيقنًا بنسبة (٩٩) في المئة من أن الجريمة ارتكبتها جهة ما في المجلس، أو «منظمة بدر» التابعة له، ونسبة الواحد في المئة جعلتها من أجـل السـيد عبـد المهـدي؛ الـذي التقيتـه مـرتين عـابرتين في حياتي، لكن معارفه يشيدون به.. بيد أنه -ومنذ يوم الخميس الفائت- صـارت قنـاعتي بنسبة (١٠٠) في المئـة، ففـي ذلـك اليوم أعلنت وزارة المالية أن وزيرها -وهو قيادي في المجلس الأعـلى- كـرّم حراسًـا لفـرع آخـر لمصرف الرافـدين في حـي البيـاع في بغـداد، لأنهـم تصـدوا لـ «قـوة أمنيـة تسـتقل خمـس عجلات، حاولت سرقة مصرف البياع في الساعة (٤٥ , ٤) من صباح الثلاثاء، وقامت بكسر الباب الخارجي بواسطة إحدى العجلات»، وأضـاف بيـان الـوزارة أن: «السـارقين لاذوا بـالفرار إلى جهة مجهولة»، من دون توضيح كيف أن أحدًا من الحراس الخمسة، لم يستطع التقاط رقم أي من العجلات الخمس!!

بعد هذا البيان قلت في نفسي: إن هذه مسرحية للتغطية على جريمة (الزوية)، فلا بد إذن من أن تلك الجريمة هي من تدبير جهة ما في المجلس الأعلى، وأمس نفت وزارة الداخلية أن يكـون فـرع مصرف الرافـدين في البيـاع، أو أي فـرع، أو مصرف آخر في بغداد قد تعرض لمحاولة سطو يوم الثلاثاء، وقالت: «إن مصرف الرافدين فرع الرسالة لم يتعرض لعملية سطو مسلح، وإنـما حـدث خـلاف بين القـوة المكلفـة بحمايـة المصرف، وقـوات مـن وزارة الداخلية مكلفة بحماية المنطقـة، وتحركـت بعلـم قيـادة عمليـات بغـداد»، مـع هـذه الوقـائع صـار مؤكـدًا أن جهـة مـا في المجلـس الأعـلى قـد ارتكبـت جريمـة

مصرف (الزوية)، وهذا الأمر ليس بغريب، فكما هو متداول شعبيًّا، ومسكوت عنه رسميًّا؛ فإن مختلف القوى والجماعات المتنفذة في السلطة العراقية؛ وبخاصة الإسلامية -شيعية وسنية- ترتكب على الدوام جرائم من هذا النوع.. تسطو على المصارف، ومكاتب الصيرفة، ودوائر الدولة، وأنابيب النفط، ومخازن السلع والأغذية، مستعينة بمليشياتها وعصاباتها المسلحة التي ظلت طليقة، أو انسلت إلى أجهزة الأمن والشرطة والجيش، ومن لا يصدق؛ فليجب عن السؤال: لماذا لم يُكشف -حتى الآن- عن فاعلي تلك الجرائم.. وهي بالمئات؟!

الصدر أصبح مرجعًا، والأميركيون لن يستطيعوا اعتقاله

«الشرق الأوسط» (٢٠٠٩/٨/٥)

عاد زعماء وقياديو التيار الصدري إلى بغداد أمس، بعد اختتام مؤتمرهم أول من أمس؛ الذي عقد في مدينة اسطنبول التركية، حاملين معهم التوصيات التي توصلوا إليها خلال المؤتمر؛ الذي عقد تحت شعار: (التيار الصدري، والتحديات المعاصرة، والواقع الطموح)، وكشفت مصادر في التيار أن من أبرز التوصيات هي: «مقاومة المحتل، والمطالبة برحيله».

وقالت مها الدوري -القيادية في التيار، وعضو البرلمان العراقي- لـ «الشرق الأوسط»: «إن توصيات المؤتمر التي خرج بها قياديو التيار هي: التنسيق والعمل المشترك مع جميع المكونات السياسية العراقية، والانفتاح على تلك المكونات، والتنسيق معها من أجل خدمة جميع العراقيين، وعدم خدمة تيار دون آخر، والاستمرار في مقاومة المحتل والمطالبة برحيله».

وكان زعيم التيار الصدري -رجل الدين الشاب مقتدى الصدر- قد وصل إلى تركيا قادمًا من مدينة قم الإيرانية؛ التي استقر بها خلال العامين الماضيين لإكمال دراسته الدينية، وكان متواريًا عن الأنظار منذ ذلك الحين، والتقى الصدر بالرئيس التركي عبد الله غل وبرئيس الوزراء رجب طيب أردوغان.

وضم المؤتمر الذي عقد باسطنبول (٧٠) شخصية من التيار الصدري قدموا من العراق، وكشفت مصادر في التيار لـ «الشرق الأوسط» عن أن المؤتمر تناول الأطراف المحسوبة على التيار؛ والتي تتحدث باسمه لكنها غير ذلك، غير أن مها الدوري قالت أنه في المؤتمر: «لم يتم فتح مثل هذا الموضوع، لأن التيار الصدري معروف بكل هيئاته وتشكيلاته، وأن أي اختراق أو ادعاء بات معروفًا لكل العراقيين».

وحول الوصايا التي طرحها الصدر؛ أكدت مها أنها: «تلخصت في مواجهة ودراسة التحديات والمشاكل التي تواجه العراق بشكل عام، والتيار بشكل خاص، والتركيز على عمل الكفاءات الموجودة في التيار، وخدمة الإسلام والمسلمين بجميع طوائفهم، وعدم خدمة تيار دون آخر، والاستمرار في مقاومة المحتل، والمطالبة برحيله، ورفض كل أنواع التخريب والطائفية في كل نشاطات التيار الثقافية، والاجتماعية، والسياسية»، وأشارت الدوري إلى أن المؤتمرين أكدوا على «ضرورة تطوير نشاط مكاتب الشهيد الصدر، ووضع كل المعالجات للمشاكل التي تواجهها»، مشيرة إلى أن «المؤتمر كان ناجحًا جدًّا، وكان فرصة كبيرة للقاء السيد مقتدى بأتباعه من التيار».

إلى ذلك؛ كشفت مصادر مطلعة لـ «الشرق الأوسط»: أن الصدر حصل على لقب: «آية الله العظمى»، وأصبح مرجعًا دينيًّا قبل أيام من وصوله إلى تركيا، وأن الصدر لدى وصوله إلى تركيا دخل كمرجع ديني وقائد للتيار الصدري؛ من أجل فتح مكاتب في الدول العربية والإسلامية، وأضافت المصادر: أنه يتوقع وصول الصدر إلى العراق في أية لحظة، مؤكدة أن «الجانب الأميركي لن يستطيع المساس بمقتدى الصدر؛ كونه أصبح مرجعًا دينيًّا».

ولم يظهر مقتدى الصدر بشكل علني منذ (يونيو - حزيران ٢٠٠٧)، غير أن بياناته وتوجيهاته -غالبًا- ما تعلن عبر متحدثين أو ممثلين له في العراق، وكان الصدر أنشأ في(٢٠٠٣) ميليشيا «جيش المهدي»؛ التي اعتبرت طويلًا

أقوى ميليشيات العراق، واشتبكت عدة مرات مع القوات الأميركية في معارك دامية، ثم تحول الجيش بأمر من الصدر إلى منظمة اجتماعية وثقافية، تدعى: «ممهدون»، بعد اشتباكات في كربلاء في (أغسطس – آب ٢٠٠٧) أسفرت عن مقتل نحو (٥٠) شخصًا.

حاضرة النجف إن نطقت!

سعد محيو «الخليج الإماراتية» (٢٠٠٩/٧/٢٧)

إذا ما كانت الفرضية بأن الأزمة الحالية في إيران: أزمة نظام بنيوية لا مجرد أزمة سياسية أو انتخابية عابرة؛ فإن النافذة الأهم للإطلالة عليها هي: حاضرة النجف.

السبب مقنع، فهذه المدينة العراقية المقدسة؛ التي كانت على مدى التاريخ القاعدة المرجعية الرئيسية للإسلام في طبعته الشيعية (قبل أن تخطف منها قم الأضواء عام ١٩٧٩)، تحتضن العديد من كبار رجال الدين الشيعة الذين يرفضون -أو على الأقل لا يقبلون- نظرية «ولاية الفقيه» هكذا كما هي؛ وبلا نقاش! كما أن لهم نظرتهم الخاصة للغاية إلى علاقة الدين بالسياسة تستند إلى القول: إن الثانية تلوّث الأول، وقد تحرفه عن الصراط المستقيم.

وجهة النظر هذه هي نقطة الافتراق الأيديولوجية الكبرى بين آية الله الخميني، وآية الله السيستاني، الخميني يرى أن رجال الدين يجب أن يقودوا مباشرة العمل السياسي؛ إنفاذًا للفكرة بأن الولي وصحبه الذين يجب أن ينوبوا عن الفقيه أو الإمام إلى حين انتهاء غيبته هم الأقدر على تطبيق الشرع، ونشر العدالة، وتحضير المجتمع لعودة الإمام الغائب، في حين أن السيستاني يعتقد أن الدين ورجاله يجب أن يكونوا فوق السياسة لا العكس، وأن دورهم يجب أن يقتصر على تحديد الخطوط الشرعية العامة التي يجب أن يفيها السياسيون حقها.

الصيغة الخمينية -في رأي المدرسة السيستانية- جعلت كل رجل دين رجل سياسة، فزالت بذلك الفوارق بين ما لقيصر وما لله، وهذا ما أدى إلى وضع العديد من رجال الدين السياسيين في إيران في قفص اتهامات الفساد، والإثراء غير المشروع، وسوء استخدام السلطة.

هذا الموقف -الذي يحظى بتأييد العلامة الكبير محمد حسين فضل الله، والعديد من آيات الله العظمى في النجف، وقم، ومشهد- ضعفت شوكته مع الانتصار الجماهيري لثورة الخميني، ومع امتلاك ثورة ولاية الفقيه دولة تمتلك مقدارت بترودولارية شاسعة، و-أيضًا- مع تفوّق فكرة العنف الثوري الصاخب على تقليد التقيّة الهادئة والصامتة.

لكن الآن ومع أزمة ولاية الفقيه في إيران -أو على الأقل أزمة ولي الفقيه آية الله خامنئي؛ الذي يتعرض إلى «مؤامرات واسعة»؛ وفق آيه الله أحمد خاتمي-؛ فإن في وسع النجفيين السيستانيين الإطلالة برأسهم مجددًا للإعلان أن نهجهم هو الأصح والأسلم، وأن النجف يجب أن تستعيد دورها المركزي السابق كمرجعية أولى بهدف «إنقاذ الدين من السياسة»، لكن حتى اللحظة لا تزال النجف تلوذ بالصمت حيال ما يجري في طهران، وحين حاول مراسل «فاييننشال تايمز» استنطاق رجال الدين فيها؛ اكتفى هؤلاء بالدفاع عن وجهة نظر السيستاني إزاء العلاقة بين الدين والسياسة، بيد أن أحد هؤلاء -وهو علي الوعدة ممثل آية الله السيستاني- شذّ عن الركب حين قال: «إننا لا نتبع إيران، إيران يجب أن تتبع النجف».

بالطبع، ما قصده الرجل لا علاقة له البتة بالتنافس القومي بين المسلمين الشيعة العرب والإيرانيين (السيستاني من مواليد إيران)، وله كل العلاقة بالخلافات والاجتهادات الفقهية حول مسائل ولاية الفقيه، وعلاقة الدين بالدولة، والسماء بالأرض، وفي حال بدأت أصوات على شاكلة صوت العودة تتعالى في النجف، فسيكون هذا مؤشرًا فاقعًا إلى أن الأزمة في إيران دخلت مفترقًا تاريخيًّا خطرًا.

سؤال الأسئلة... ماذا يجري في إيران؟

محمد عبد الله محمد «الوسط البحرينية» (٢٠٠٩/٧/٣٠)

سألني أحدهم: ماذا يجري في إيران؟

قلت: سؤالك يحتاج إلى تقسيط؛ فهو بحجم سائلي أهل

علم الكلام والعقائد عن الوجود والخلق، فأزمة إيران عبارة عن فسيفساء من الأزمات الصغيرة والمتوسّطة شكّلت في النهاية أزمة اليوم.

حَسَنًا... لنأخذ رأس الإشكال وهو: الخريطة الحزبية؛ لا يُمكن المفاضلة مُطلقًا بين التيار المحافظ، والتيار المُتمرّد (الإصلاحي).

فالأول: يعتبر هويّة للثورة ومدماك للدولة، **والثاني**: يُشكّل هويّة مُستوردة على غير ملامح الثورة، ويعيش على حافّة الجمهورية.

الأوّل: يملك الأكثرية السياسية، **والثاني**: أقليّ، قضمت وجوده رهاناته على الخارج.

وأيًا تكن مقولات بعض المحافظين وعِلِيّة القوم بشأن «وطنيّة» هذا التيار المُتمرّد؛ إلّا أنه تيار (بسواده الأعظم) غير نقي، ومُشَوأب، ومشبوه، وكلّ ما يُقال بشأنه على غير ذلك هو بدواعي موازنات الداخل لا غير.

وعليه؛ فإن المفاضلة تبقى داخل أروقة التيار المحافظ، هنا حديث مختلف؛ فهذا التيار على ثلاث شُعب:

الأول: تقليدي، يتشكّل من رموز سياسية (دون ذكر الحرس القديم فيه)، بينها بور محمّدي -رئيس منظمة التفتيش القضائي-، وأحمد توكّلي -مُرشّح سابق للرئاسة، وعضو برلماني-، وحدّاد عادل -رئيس البرلمان السابق، وعضو حالي بالمجلس-.

الثاني: تقدّمي، يتشكّل من عدد آخر من الأصوليين بينهم علي لاريجاني -رئيس البرلمان الحالي-، وباقر قاليباف -أمين العاصمة-، ودانش جعفري -وزير الاقتصاد السابق-، ومحسن رضائي -الأمين العام لمجمع تشخيص مصلحة النظام-.

الثالث: تعميري، يتشكّل من الرئيس أحمدي نجاد، ومهدي جمران -رئيس المجلس البلدي لطهران-، ومجتبى هاشمي -ثمرة المستشار الأعلى لرئيس الجمهورية-، وجوانفكر -المستشار الإعلامي للرئيس-، واسفنديار رحيم مشائي -رئيس مكتب رئاسة الجمهورية-.

هذا التيار -بعمومه- لديه روافع فكرية وأخرى فقهية، الرافعة الفكرية له تتشكّل من محمد جواد لاريجاني -رئيس مركز الفيزياء النظرية والرياضيات بطهران-، وآية الله محمد تقي مصباح اليزدي -أحد فقهاء الحوزة القُمّيّة-، وآية الله عباس علي عميد الزنجاني.

أمّا الرافعة الفقهية للتيار المحافظ؛ فتتمثّل في المراجع الدينية العظام في مدينة قم، وهم: الشيخ لطف الله الصافي الكلبيكاني، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي، والشيخ حسين نوري همداني، والشيخ عبد الله جوادي الآملي.

هنا؛ تجب الإشارة إلى جذور هذا التيار في الحكم، فعندما انتصرت الثورة الإسلامية رُحِّلَت الأحزاب والحركات التي كانت تنشط قبل الثورة إلى وعاء الحكم الجديد، وكانت لها حظوة في التشكيلات الناتجة عن السلطة؛ كالمنصورين، وجمعية علماء الدين المناضلين.

ففي مناحي الثورة الدينية ووصلتها بالسياسة تمّ إدماج علماء الدين في جمعية المناضلين؛ التي قادت الثورة عمليًا في سنتيها الأخيرتين، وهي الغطاء التقليدي ليمين اليوم، فدخل أعضاؤها في هيئات صياغة الدستور، ومجلس قيادة الثورة، والحكومة المؤقتة.

وفي مؤسسات الثورة العسكرية -كالجيش، والحرس الثوري- أُدْمِجَت فيها جماعات المنصورين، وبدر التوحيدية، والفلاح، والفلق، والصف، والمُوحّدون، فدخل محسن رضائي، ومحسن سازجارا، ورفيق دوست، ولاهوتي، ودانس مُنفرد، ومحمد غرضي، وكلاهدور.

وعلى مدار سنوات الثورة الأولى كانت عمليات الإدماج تلك تترسّخ في كلّ حقبة، بل إن الانشطارات التي كانت تحدث داخل التيارات الثورية لم تكن تُشكّل عائقًا في استيعابها، فتمّ استيعاب كل الشخصيات التي ظهرت في الحزب الجمهوري قبل حلّه.

وكان أي تغيّر يظهر على هذه الخريطة الحزبية لليمين يُؤثّر بطريقة أو أخرى على خريطة السياسة المُنداحة في الأجهزة التنفيذية، والتشريعية، والقضائية، والرقابية، ومراكز

القوى، بل وحتى على الجوانب العسكرية، لذا فإن عُرفًا ساد على أن تتقاسم هذه الطُرُق السياسية (على شاكلة الطُرُق الصوفية)، والتي من أهمّها: قوى اليمين الأصولي؛ أغلب مظاهر وتجليات الحكم السياسي في إيران.

ضعف الشيعة في حكمهم

أحمد موفق زيدان «المصريون» (٢٠٠٩/٨/٥)

ضعف الشيعة في توليهم الحكم، وقوة ضعفهم ببقائهم في المعارضة، فهذا المذهب وُلد معارضًا، وسيظل معارضًا، وحين يَحكم تظهر وتتبدّى كل تناقضاته!! فالمذهب الذي وُلد في أحضان الحكم السني ونمى وترعرع في أعطافه يصعب عليه أن يحكم أغلبية؛ حتى ولو كان هو أغلبية في بلد ما، هذا إن كان أغلبية في العراق -كما يدعون-، وهو ليس كذلك.

هذه المقدمة ربما مهمة جدًّا لفهم ما يجري في إيران هذه الأيام، فالتناحر، والصراع، والتنابذ بالألقاب بين قطبي الصراع الإيراني: المحافظ، والتقليدي، إنما هو نتيجة طبيعية لتولي الطائفة الشيعية؛ وتحديدًا آيات الله السلطة في إيران، فظهرت من جراء ذلك خلافاتهم، بين مؤيد لنظرية ولاية الفقيه؛ التي طرحها الخميني، وبرّر من خلالها وصوله إلى السلطة، في حين كان يرفض المذهب الشيعي أصلًا مسألة تولي السلطة مع غياب الإمام المعصوم عندهم، فحلّ الإشكال الشيعي هذا الخميني ببدعة نائب الإمام المعصوم الممثل بالمرشد الروحي للثورة الإيرانية؛ وتحديدًا في شخصية الخميني، وحاليًا في شخصية خامنئي، ريثما يظهر الإمام المعصوم الغائب المزعوم! **وهو الذي اعتبره رافسنجاني -أخيرًا- بأنه خرافة وبدعة!!**

تاريخيًا؛ رفض هذه الفكرة عدة علماء شيعة في طهران، وكان من بينهم آية الله منتظري؛ الذي كان المقرب الأول والأساسي لخميني، ومرشحه لتولي السلطة في غيابه، لكن رفض فكرة ولاية الفقيه من قبل منتظري لم تمنع الخميني من بتر كل العلائق والروابط مع منتظري، وعاقبه بفرض الإقامة الجبرية عليه، فهو الذي يدرك أن التشكيك بنظريته هذه إنما هو هدم لدولته، والإتيان على الدولة الشيعية الإيرانية الخمينية من القواعد.

باختصار... العالم الإسلامي من الخير له -أغلبية، وأقلية- أن تحكمه الأغلبية السنية التي حكمته لقرون طويلة، دون أن تتعرض للطوائف والأقليات الأخرى، وحين حكم الفاطميون مصر؛ خرجوا منها، فخرج معهم مذهبهم الفاطمي، كدليل واضح وجلي وعملي على أن حكم هذه الطوائف لا يصلح لها، ولا يصلح لغيرها، بل يزيد من الاحتقان في عين الطائفة؛ فضلًا عن الاحتقان داخل الجسد الإسلامي، تدفع ثمنه الأوطان، والبلاد، والشعوب؛ حاضرًا ومستقبلًا.

مخاطر الفضائيات الشيعية على عقيدة أهل السنة

الهيثم زعفان «المصريون» (٢٠٠٩/٨/٧)

أتعجب كثيرًا لإصرار بعض منسوبي الأقمار الصناعية السنية على تقديم مبررات واهية تؤمن استمرار بث الفضائيات الشيعية على الأقمار السنية! مما يفتح المجال لتفسيرات متعددة لهذا الموقف المتخاذل؛ والذي معه تتعقد مجهودات عديدة تعمل على صد المد الشيعي الفارسي في المنطقة السنية، لكنها تعقيدات أحسب أنها ستحسم في النهاية لغير صالح المستفيدين من استمرار بث الفضائيات الشيعية.

ذكرنا من قبل أن هناك (٣٥) قناة شيعية على الأقمار الصناعية السنية، تنطق بالعربية، وتبشر -ليل نهار- بالمذهب الشيعي، في ذات الوقت الذي لا توجد فيه قناة واحدة سنية توجه لإيران باللغة الفارسية، **ومخاطر هذه القنوات الشيعية** لا تقف عند حدودها العقدية؛ لكنها تمتد لتلامس الأوضاع السياسية للدول السنية وقادتها، مما يشكل خطورة مباشرة على الأمن القومي، واستقرار البلاد السنية، ومن ثم؛ فإن استمرارها في بث سمومها، وتحريضها بحرية، وتمكن وصولها لكل بيت في المنطقة العربية السنية قد يصنع رأيًا عامًّا مشكلًا وفق الرؤية الفارسية، وقابل للتحرك وإحداث القلاقل داخل المجتمع السني في لحظة ما.

وبالعموم؛ فإنه بتحليل محتوى القنوات الشيعية الموجودة على الأقمار السنية؛ وجدنا أن أبرز وأهم ما تدندن عليه هذه القنوات هو:

١ - تجنب معظم القنوات للسب المباشر في الصحابة، وزوجات رسول الله ﷺ، لكنها تطرح مغالطات، وأكاذيب، وافتراءات تاريخية؛ تصل بالمشاهد غير الواعي إلى أن يطعن هو.

٢ - محاصرة المشاهد بجرعة مكثفة من اللطميات، ومجالس العزاء، والممارسات الشيعية الموسومة بالبؤس والغم، والمصحوبة بالمجسمات الصوتية والبصرية المبكية؛ فضلًا عن الآذان الشيعي، والطواف بالأضرحة، وتقبيل عتباتها، والتوسل إليها، وجميعها أجواء تصنع نوعًا من الألفة مع الضلالات الشيعية لدى غير المحصنين، وقد تحدث لديهم التباسات عقدية أثناء أدائهم لعباداتهم وفقًا لمذهبهم السني.

٣ - إمطار المشاهد بسيول من الأحاديث والأقوال المنكرة والموضوعة، المنسوبة زورًا لرسول الله ﷺ، ومع ضعف الحصيلة الحديثية والدراية بعلم الحديث سندًا ومتنًا عند عموم المتلقين؛ فإن ذلك يؤدي إلى انتشار الأقوال الكاذبة بين الناس، وتداولها على أنها أحاديث نبوية، والخطورة -هنا- تكمن في التكليفات العقدية المصاحبة لتلك الأكاذيب، والتي تصب جميعها في مصلحة المذهب الشيعي.

٤ - تقدم القنوات الشيعية جرعة مكثفة من البرامج الموجهة للأطفال؛ سواء كانت في قنوات مخصصة للأطفال، أو متفرقة في القنوات، وجميعها مصاغة وفق رؤية عقدية شيعية، تنجرف بالأطفال غير المراقبين من الآباء إلى الهاوية.

٥ - لا تستحي القنوات الشيعية أن تقدم مسلسلات تاريخية تجسد فيها صور الأنبياء والصحابة برجال عاديين، وتعمل على تشويه التاريخ، وتقديمه وفق الرؤية الشيعية، والاعتماد التام على الإسرائيليات في سرد التاريخ وقصص الأنبياء؛ فضلًا عن كونها مصحوبة بالطعن في الصحابة، وتشويه صورة خلفاء المسلمين، ولا تخلوا المسلسلات حتى ولو كانت تتناول حقبة تاريخية قبل الإسلام من وضع البهارات الشيعية عليها، مثل: تقديس القبور؛ مثلما قدمت سيدنا يعقوب عليه السلام في أحد المسلسلات الإيرانية المدبلجة وهو يزور قبر زوجته بانتظام، ويحزن، ويبكي عندها «غيبة» ابنه يوسف عليه السلام.

٦ - تعمد أحد القنوات الإيرانية على اتباع أسلوب تبشيري لئيم، عبر جرعة مكثفة من البرامج المتنوعة والمسلسلات والأفلام المدبلجة، وجميعها تتبع سياسة الموج الهادئ الذي يسحب السباح غير الماهر إلى مناطق غرق مؤكدة، وأسفًا هناك عدد غير قليل من أهل السنة يتفاعلون بالاتصال مع هذه القناة التي تحرص على استضافة من يسمون -عندنا- بدعاة التقريب؛ والذين يزينون مشاركتهم بسيل من الإعجاب بالتجربة الخمينية، وكل ذلك تحت ذريعة الوحدة الإسلامية التي يتخذها الشيعة تقية للنفاذ لضعاف القلوب، تلك الذريعة التي كشف تلاعب الشيعة بها كبار علماء أهل السنة الواعين للمشروع الفارسي في المنطقة.

٧ - تقديم جرعة من البرامج الممجدة للثورة الخمينية، والممهدة لما أسموه بالدولة الإسلامية العالمية؛ والتي سيقيمها طفلهم المفقود في السرداب منذ (١٢٠٠) سنة، وأنه لن يقبل في دولته إلا بمن ينتمي إلى الشيعة، ومن ثم فالقنوات تكثف جرعات موالاة الخميني ومهديهم المنتظر، مع تقديم الإغراءات في حال تبعيتهما، ومع ضعف الوعي لدى البعض في فهم زيف مهديهم وحقيقة الخميني المعصوم -عندهم- قد ينبهر البعض، ويحدث لديه التباس عقدي؛ فضلًا عن التهيئة النفسية لطموحات المشروع الفارسي الاستعماري، وما قد يستلزمه من خروج على حكام أهل السنة والجماعة.

هذه بعض من المخاطر المبنية على تحليل محتوى القنوات الشيعية، ويبقى الحل في وقف بث هذه القنوات الشيعية من على الأقمار السنية، فهم لو كانوا صادقين في كون هذه الفضائيات موجهة لطوائفهم الشيعية في الوطن العربي لأطلقوا قمرًا صناعيًا شيعيًا يضم كافة قنواتهم، ويكون موجه فقط لشيعتهم، ومعلوم لدى الجميع هويته؛ فيتم تجنبه بسهوله، بدلًا من تغلغل القنوات الشيعية بين القنوات السنية، وصعوبة معرفة المشاهد السني غير المحصن لهوية القنوات الشيعية التبشيرية.

الشيعة ولعبة تغيير المناهج الدراسية السنية

الهيثم زعفان «موقع لجينيات» (٢٠٠٩/٨/٥)

بعد سقوط العراق في يد المحتل الأمريكي؛ لمع النجم الشيعي في العراق ودول الخليج، وفتح الاحتلال مساحات واسعة للتحرك الشيعي على كافة الأصعدة، وسطر الشيعة لأنفسهم استراتيجيات تسمح بتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب الشيعية، وكان من هذه الاستراتيجيات: العمل على السيطرة على مواطن صنع القرارات التربوية والتعليمية في العراق، ومن ثم على توجيه دفة المجتمع والأجيال القادمة من خلال المناهج التربوية والدراسية، والمدارس الشيعية صوب المذهب الشيعي، ولم يقتصر الأمر على دولة العراق التي شهدت تلاعبًا فجًّا بالعملية التربوية والتعليمية، بل تعلو الأصوات الشيعية -الآن- في الكويت، ومن قبلها البحرين؛ من أجل تغيير المناهج التعليمية؛ وبخاصة الشرعية منها، وذلك بحذف كل ما يتعلق بالاعتراضات والأحكام السنية الشرعية على الممارسات الشيعية، مع محاولاتهم تضمين العقائد الشيعية في المناهج التربوية والتعليمية السنية.

فكيف تتحرك هذه الإستراتيجية الشيعية في المحيط العراقي السني؟ وإلى أي مدى أحرزت إستراتيجية الشيعة التعليمية تقدمًا على الساحة العراقية؟ وما هي معالم المطالب الشيعية في الكويت، ومن قبلها البحرين لتغيير المناهج التعليمية السنية؟ وهل أحرزت هذه المطالب الشيعية نوعًا من التقدم على المستوى الميداني؟ وكيف يمكن صد هذه اللعبة الشيعية التي تحاول اختراق المجتمعات السنية من خلال المناهج الدراسية؟

جملة من التساؤلات المعقدة، سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه الدراسة المختصرة:

أولًا: التلاعب الشيعي بالتعليم العراقي بعد الاحتلال الأمريكي:

١ - حقيبة وزارة التربية العراقية في ظل الاحتلال الأمريكي والنفوذ الإيراني شيعية، أولى الخطوات التي حرص الشيعة عليها في عراق ما بعد الاحتلال الأمريكي هو تولي حقيبة وزارة التربية، وذلك بمباركة وحرص من قوات الاحتلال على ذلك، والذي يحمل حقيبة وزارة التربية في العراق هو الشيعي الدكتور «خضير موسى جعفر الخزاعي» - القيادي البارز في حزب الدعوة الشيعي، والنائب في مجلس النواب عن قائمة الائتلاف العراقي الموحد، وهو يحمل الجنسية الإيرانية والجنسية الكندية -، تقول عنه «موسوعة الرشيد» -المعنية بدراسة المسألة الشيعية- أنه: «ينتهج نهجًا طائفيًّا شيعيًّا حادًّا، ويقرأ (المقتل الحسيني) و(المحاضرات الحسينية) في حسينية افتتحها الشيعي الدكتور إبراهيم الجعفري -رئيس الوزراء السابق- في المنطقة الخضراء، وعندما كان في كندا كان يمارس العمل نفسه في حسينية (البدون)؛ والتي عاد إلى زيارتها بعد تعينه وزيرًا للتربية، وذلك أثناء زيارته الرسمية إلى كندا، وفي لقاء أجرته معه قناة «العراقية» الفضائية، قال: «لقد قبلنا بمفهوم الديمقراطية الحاصل اليوم على مضض، والحل هو الإسلام، المتمثل بمراجعنا الذي نستمد منهم تعاليم ديننا».

وهذا الوزير -بحسب «موسوعة الرشيد»- شديد الحرص على تغيير المناهج التعليمة وفق المذهب الشيعي، كما أن الكتب المدرسية التي أمر بإعادة طبعها خلت من أي إشارة لحرب إيران على العراق في الثمانينات؛ فضلًا عن أنه في امتحانات الدراسة الإعدادية للعام الدراسي (٢٠٠٨) أقحم في أسئلة مادة الدين سؤالًا عن (محمد باقر الصدر) ، في حين أنه ليس من مفردات المنهج! وقد أصر على طبع الكتب المدرسية لكافة المراحل في إيران، ولم تفلح محاولات بعض النواب في ثنيه عن هذا القرار، مع أن المطابع العراقية ليست أقل مستوى من مطابع إيران، كما أنها قدمت عروضًا بمبالغ أقل مما طلبته المطبعة الإيرانية.

ووجود وزير للتربية مثل هذا شيعي شديد الولاء لإيران؛ يجعل المناهج الدراسية العراقية المطبقة على أخواننا أهل السنة في العراق في وضع حرج للغاية، وقد تحدث التغييرات الشيعية التي يقوم بها هذا الوزير على المناهج التعليمية مشكلات عقدية لدى أهل السنة في العراق على

المدى البعيد، الأمر الذي يستلزم وقفة جدية من كافة الهيئات والمؤسسات السنية في العالم الإسلامي.

٢ - استحداث قناة «العراقية» التعليمية ذات التوجه الشيعي وهي قناة تلفزيونية تعليمية جديدة تم أنشاؤها بعد الاحتلال الأمريكي من قبل منظمة اليونسكو، وبتنفيذ وزارة التربية العراقية، وهي موجهة للطلاب العراقيين داخل العراق وخارجها، وتبلغ تكلفة هذا المشروع (٦,٥) مليون دولار أمريكي، ويموّل من قبل الاتحاد الأوربي، وتقوم قناة «العراقية» التعليمية ببث برامج تعليمية يوميًّا بالاعتماد على المناهج التربوية في المدارس العراقية، والقناة تخضع رسميًّا للإشراف المباشر من قبل وزير التربية العراقي الشيعي؛ ولما كانت تلك القناة تتبع في إشرافها المنهجي وزارة التربية العراقية؛ لذا فإن كل التحولات في المناهج التعليمية العراقية نحو المذهب الشيعي ستصب في محتويات قناة «العراقية» التعليمية الفضائية المبثة لكل من ينطق باللغة العربية.

٣- المراجع الشيعية، والمطالبة المستمرة بتغيير المناهج التعليمية المرجعيات الشيعية في العراق تطالب باستمرار بتغيير المناهج التدريسية التي كتبت في زمن نظام صدام حسين؛ لتكون وفق المذهب الشيعي، وفي ضوء ذلك قال الشيعي خالد النعماني -نائب رئيس مجلس محافظة النجف- : «نحن شيعة النجف مستعدون لأن نضع مناهج كاملة لوزارة التربية»، كما قالت رئيسة لجنة التربية في مجلس محافظة النجف سهيلة الصائغ: «مثل ما هو موجود في بعض المواد التي تمدح بإسهاب بعض الخلفاء والشخصيات، نريد ذلك - أيضًا - لأئمتنا الذين لهم الباع الطويل، والصوت الأول، والقلم الأول في كل المجالات؛ حتى في المجالات العلمية».

٤- وزارة التربية العراقية تنفذ مطالب المراجع الشيعية، وتجعل المراجع محكمة للمناهج الجديدة، وتتيح للمعلمين الشيعة تدريس ما يريدونه؛ تنفيذًا لمطالب المراجع الشيعية بتغيير المناهج التعليمية المصاغة صياغة سني قال مدير إعلام تربية النجف ماجد السوداني: «إن وزارة التربية قامت بتغيير المناهج بصورة تدريجية، والوزارة جادة في تغيير المناهج لمادة التربية الإسلامية، والمطالعة والنصوص، والتاريخ»، ومن قبل وعد إسماعيل ماضي -مدير عام التربية في مدينة النجف العراقية- بتنفيذ هذه المطالب بقوله: «إن وزارة التربية والتعليم ستغير مناهجها بما يتوافق وتوجيهات المراجع الشيعية في النجف»، وكشف هذا المسئول عن منعطف خطير بجعل المرجعيات الشيعية محكمة للمناهج الدراسية الجديدة التي تقوم الوزارة بإعدادها، وذلك حتى تكون هذه المناهج متوافقة تمامًا مع المذهب الشيعي، حيث يقول هذا المسئول التربوي: «إن الوزارة طبعت بالفعل كتبًا في الفلسفة التربوية، وأرسلت نسخًا من تلك المطبوعات إلى مكاتب المرجعيات الشيعية للبت في مادتها، وتثبيت ما يتوافق مع أفكارهم»، كما كشف هذا المسئول عن أن وزارة التربية أتاحت للمعلمين الشيعة أن يدرسوا للطلاب المذهب الشيعي بمنتهي الحرية، يقول مدير عام التربية بالنجف: «لقد أوصيت إدارات المدارس في المحافظة بإعطاء كوادرها التدريسية الحرية فيما ترغب في إيصاله إلى التلاميذ من معلومات بما يتماشى وعقيدتهم الشيعية».

٥ - تغلغل المدارس الإيرانية في العراق، لم تكتف إيران بالتلاعب عن بعد بدعم الشيعة في العراق على مستوى إستراتيجية التربية والتعليم، بل قامت إيران بالدخول التعليمي المباشر في العراق بإنشاء مدارس دينية إيرانية في عدد من محافظات العراق؛ وعلى وجه الخصوص محافظات جنوب العراق؛ الذي تنشط فيها الأحزاب الشيعية الموالية لإيران، قد يكون لهذا التغلغل الإيراني المباشر علاقة للصراعات الخفية بين بعض علماء العراق وإيران، لكن يبقى في النهاية أنه تحرك يخدم المشروع الشيعي برمته، وإيران كانت قد قطعت وعودًا للحكومة العراقية تضمنت هذه الوعود بناء مدارس في العراق؛ وعلى نفقتها الخاصة، وكان ذلك ضمن اتفاق تم توقيعه في عام (٢٠٠٧) بين وزير التربية العراقي خضير الخزاعي، ووزير التربية الإيراني السابق محمود فريشي؛ وبموجب هذا الاتفاق قامت إيران ببناء عدد من المدارس الدينية والمدارس العامة في العراق، والتي كان آخرها تلك المدرسة التي وضع حجر أساسها وزير التربية والتعليم الإيراني علي رضا في محافظة النجف بتبرعات إيرانية، وقد

قال محافظ النجف أثناء الاحتفال بوضع حجر الأساس: «إن هناك تعاون كبير في مجال التربية والتعليم بين الحكومتين العراقية والإيرانية، وتم الاتفاق على إنشاء عدد من المدارس النموذجية في كل أقضية ونواحي المحافظة»، بينما ركز وزير التربية والتعليم الإيراني في كلمته أثناء الاحتفال على مسألة إعداد المناهج التعليمية ذاتها، وذلك بقوله: «إن هذه المدرسة تأتي ضمن اتفاقيات في مجال إعداد المناهج الدراسية، والدراسات المهنية، والمختبرات العملية».

وإذا كانت إيران هي من ستعد المناهج الدراسية العراقية التي سيتلقاها أهل السنة في العراق، فبدهي أن تدور جميع المناهج حول ولاية الفقيه، ومذهب الشيعة الإثنى عشرية، وأن يكون التعليم فيها باللغة الفارسية؛ حيث لا يكتفي بالتحويل نحو المذهب الشيعي فقط، ولكن باللغة الفارسية؛ لغة الثورة الخمينية والإمبراطورية الفارسية التي تسعى إيران لإحيائها.

ثانيًا: البحرين، ومكاسب شيعية تربوية ملموسة:

١ - حذف العبارات التي يعترض عليها الشيعة من مناهج التربية الإسلامية، بين الحين والآخر تشهد البحرين سجالات بين الشيعة والسنة حول تغيير المناهج التعليمية؛ وبخاصة منهج التربية الإسلامية، وكانت تقارير صحفية قد نقلت عن مسئولين بوزارة التربية والتعليم البحرينية أن البحرين سيغير في مناهج التربية الإسلامية في مدارسه؛ بحيث يتم استبعاد أية قضايا خلافية بين السنة والشيعة، كما سيتم إضافة إشارات ومواضيع تتعلق بأداء الطائفة الجعفرية الشيعية لبعض العبادات، وتعد هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها المذهب الجعفري صراحة في المناهج الدراسية البحرينية، كما قالت ذات التقارير: إن وزارة التربية والتعليم البحرينية انتهت من إعداد مسودة تطوير مناهج التربية الإسلامية، ويقوم المجلس الإسلامي الأعلى بالبحرين -وهو مجلس يجمع السنة والشيعة- بدراسة التعديلات الجديدة بالتنسيق مع وزارة الشؤون الإسلامية، وأشارت التقارير أن التغييرات تعتمد عرضًا للعبادات وفقًا للمذهب الشيعي، مثل: الصلاة، والوضوء، والزكاة، إلى جانب حذف عبارات حول مفهوم التوحيد؛ تشير إلى أن زيارة القبور أو التوسل بغير الله من الشرك، وكان علماء دين شيعة من بينهم أعضاء في مجلس الشؤون الإسلامية رفعوا اعتراضهم على صيغة المناهج؛ لكونها لا تأخذ في الاعتبار تعاليم المذهب الشيعي.

٢ - التربية للمواطنة خطوة على درب الضغط الشيعي البحريني، وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الله المطوع - وكيل وزارة التربية والتعليم البحرينية-: «إن أحد أهم الاعتبارات التي تقود عملية التطوير في المناهج الدراسية في البحرين: تكريس قيم الوحدة الوطنية والإسلامية؛ من خلال تطوير مناهج التربية الإسلامية، وبناء مناهج التربية للمواطنة، بحيث أن توجه الوزارة يتمثل في تأكيد ما يجمع لا على ما يفرق، خاصةً وهي تستهدف تكوين الاتجاهات الروحية والوطنية الموحدة، بعيدًا عن المسائل الجزئية المتشعبة»، وأضاف المطوع: أن ما يكمل هذا المنظور وينسجم معه انتهاء الوزارة من عملية تأليف كتب التربية للمواطنة للصفوف الثالث والخامس ابتدائي، والثاني الإعدادي، واستمرار العمل للانتهاء من بقية المناهج الخاصة بالمواطنة خلال العام الدراسي الجديد.

ومسئول وزارة التربية البحرينية بهذا المسلك يحاول تكريس الضغوط الشيعية في صورة مناهج جديدة تعتمد على المواطنة بصورتها الغربية، والتي تقفز على الاعتبارات الدينية، ولا مجال فيها للأبعاد العقدية، وهي جولة تحسب للجانب الشيعي الذي يقسم تقدمه على خطوتين: الأولى: حذف ما يوضح حكم أهل السنة في الممارسات الشيعية العقدية من المناهج التربوية والتعليمية، أما الخطوة الثانية: فهي تضمين المعتقدات الشيعية في المناهج الدراسية، وأحسب أن مادة المواطنة التي ستحذف معها -بحسب وزارة التربية البحرينية- كل ما يؤدي للاختلاف، واستبداله بقيم المواطنة التي تكرس لقبول الآخر، والاعتراف به، بل والتعايش والاندماج معه مهما كانت مرجعيته العقدية، كل ذلك يحسب كمكسب للجانب الشيعي.

ثالثًا: مناهج الكويت: سخونة نيابية، وتصعيد شيعي، وتذبذب رسمي:

تمر الكويت - حاليًا - بمرحلة شديدة السخونة؛ يصعد فيها الشيعة من مطالبهم بإحداث تغييرات بالمناهج الدراسية، ذلك التصعيد الذي صاحب النجاح الشيعي في الانتخابات النيابية الكويتية الأخيرة، والشد متبادل -الآن- بين نواب السنة ونواب الشيعة، ووزيرة التربية الليبرالية تميل بتصريحاتها وقراراتها إلى الدفة الشيعية.

١ - مطالب شيعة الكويت المتعلقة بالمناهج الدراسية:

أ- حذف المسائل المتعلقة بأحكام زيارة القبور والشركيات، يعترض الشيعة في الكويت على توضيح المناهج الدراسية الكويتية لموقف أهل السنة والجماعة من زيارة القبور وبعض الشركيات؛ كالذبح والنذر لغير الله، ويعتبرون أنهم المقصودين في هذه المسائل، وأنها تتعارض مع ممارساتهم العقدية وشعائرهم القبورية، يقول الشيعي عبد الله دشتي -إمام مسجد المهدي-: «إن المقصود بتعديل المناهج الدراسية؛ وخاصة (منهج التربية الإسلامية للصفين التاسع والعاشر من المرحلة الثانوية) ليس عدم تدريس مناهج أهل السنة والجماعة، وإنما بعض الأفكار التي انطلق منها كاتب هذه المناهج»، حيث قال تحت عنوان (معنى العبادة، ومن يستحقها): «أن من ذبح أو نذر لغير الله أو استغاث بميت أو غائب أو حاضر بما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهو شرك أكبر»، ويقول المنهج -أيضًا-: «اتخذت القبور في بعض البلاد أوثانًا تعبد، ويذهب إليها الناس لقضاء حوائجهم»، وفي منهج الصف العاشر قال: «الشرك نوعان: الشرك الأكبر؛ كصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، مثل: الدعاء، وهؤلاء يخرجون من الملة، ويباح دمهم ومالهم»، وطالب هذا الشيعي بحذف هذه العبارات من المناهج الدراسية؛ لأنها تتعارض مع ممارسة الشيعة لشعائرهم! أيضًا من ضمن العبارات التي اعترض عليها الشيعة في الكويت، وطالبوا بحذفها؛ ما جاء في كتاب التربية الإسلامية للصف العاشر ونصه: «إن من التبرك المحرم ما يفعله العامة من تقبيل أعتاب القبور والأضرحة، والاستعانة بها، والطواف حولها وتعظيمها»، كما تم الاعتراض على ما جاء في كتاب التربية الإسلامية للصف الأول الثانوي؛ حيث ورد: «مع الأسف الشديد فقد اتخذت القبور في بعض البلاد أوثانًا تعبد من دون الله، يذهب إليها الناس يطلبون من أصحابها قضاء حوائجهم بحجة أنهم أناس صالحون ولهم جاه عند الله، ونسوا أن هذا -والله- هو قول المشركين»، وكلها أمور يرى الشيعة أنها تنطبق عليهم، ويمارسونها دوريًّا في شعائرهم، بل هي من صلب معتقداتهم، ومن ثم فإن إبقاء المناهج بهذه الصورة سيعطي عنهم انطباعًا سلبيًّا لدى النشئ الصغار الدارسين لتلك المناهج.

ب- تضمين المعتقدات الشيعية في المناهج الدراسية الكويتية، أخذ الشيعة في الكويت يرفعون من سقف مطالبهم الشيعية المتعلقة بالعملية التربوية، مثل: تكريس خرافة الطفل الذي دخل السرداب؛ وهو عنده خمس سنوات، رغم أن الأب الذي ينسبونه إليه كان عقيمًا، ولم يخرج الطفل من هذا السرداب منذ (١١٧٥) سنة، ويدعون أنه إمامهم المهدي المنتظر! وذلك في صورة منهج دراسي عن المهدي المنتظر، يضمن في المناهج الدراسية الكويتية، ويربى عليه النشئ الصغار، ما طالبوا بإدخال المذهب الجعفري في المدارس وكليات الشريعة؛ ليدرسه الطلاب من السنة والشيعة في الكويت معًا، مع جعل يوم عاشوراء إجازة رسمية في الكويت، وكلها مطالب سقفها لا ينتهي، وترمي في النهاية إلى أن تكون الكويت دولة شيعية خالصة، والتساهل في بعضا -الآن- لن يروي ظمأ الشيعة، بل سيشجعهم على رفع سقف مطالبهم.

٢ - تدريس مفاهيم حقوق الإنسان وحرية المعتقد مكسب لشيعة الكويت؛ كالبحرين، نجح الشيعة في جذب مسئولي التربية لجعل مفاهيم حقوق الإنسان المبنية على الحرية المطلقة مادة تدرس في الكويت، ومن خلالها يتم تنشئة المجتمع الكويتي على الاندماج والتعايش رغم الاختلافات العقدية، وبدون أن ينكر أي طرف على الآخر ممارساته العقدية، وهذا يعد مكسبًا للجانب الشيعي الذي سيتمكن من التحرك بمرونة أكثر في الشارع الكويتي، يقول مدير إدارة المناهج في وزارة التربية الكويتية الدكتور سعود الحربي، والمكلف بوضع خطة للتربية على حقوق الإنسان: «باعتبار الكتاب المدرسي أحد أهم عناصر المنهج، يحتم عرضه وتقديمه لمفاهيم حقوق الإنسان؛ بحيث تستحضر المنطلقات

والمرتكزات التي أكد عليها الإطار العام للخطة، على أن يراعي محتواه إنماء شخصية وطنية مؤمنة بقيم حقوق الإنسان، ومنفتحة على المحيط العالمي»، وهذا الأمر المبني على المواطنة، وأن الكويت للجميع؛ يحقق ما ذهب إليه الشيعي محمد باقر المهري بقوله: «إن حذف المناهج التكفيرية من الكتب الدراسية التي كتبت بأقلام بعض المتحجرين التكفيريين المتأثرين بأفكار ابن تيمية -بحسب وصف هذا الشيعي- واجب شرعي ووطني، وأمر ضروري لأجل تطهير وتهذيب وتعديل المناهج الدراسية، فإما أن تعيش الجماعات التكفيرية -بوصفه- في الكويت مع الالتزام بالدستور والقانون، ومحبة الجميع، وإما أن تخرج، فالكويت للجميع؛ للسنة والشيعة، والبدو والحضر، والقبائل، وللمسلم والمسيحي»، ليس للشيعة أكثر من مفاهيم حقوق الإنسان العالمية التي تخلط الحابل في المسألة العقدية، والفوضى الدينية في المجتمعات السنية.

٣- وزيرة التربية الكويتية وتذبذبها يوحي بتطمينات للشيعة، تدليلًا على تذبذب الموقف الرسمي الكويتي، وعدم قدرته على صد المطالب التربوية للجانب الشيعي الكويتي من البداية وبصورة حازمة وقاطعة؛ أكدت وزيرة التربية الكويتية الليبرالية د. موضي الحمود: «أن تطوير المناهج التعليمية وتغييرها هي من أهم أولويات الوزارة، وكشفت أن لجان خاصة تدرس طلبات تقدم بها النواب الشيعة لتغيير بعض ما ورد في منهاج التربية الإسلامية والعلوم الاجتماعية؛ والتي تمس الشيعة، واللجان ستقرر التغيير من عدمه»، وقالت الحمود في لقاء مع برنامج «ضيف وحوار»؛ الذي بثته قناة «العربية» السبت (١٨/٧/٢٠٠٩): «إن المناهج الشرعية والاجتماعية فيما يتعلق بالشأن الشيعي فيها شيء من الحساسية».

ومن جانبه حذر النائب السني وليد طبطبائي الوزيرة الكويتية قائلًا: «نحذرك من العبث بالمناهج، فلا يوجد فيها أي مساس أو انتقاص للشيعة»، مبينًا أن «أهل الاختصاص هم من وضعوا هذه المناهج»، ورد عليه النائب الشيعي صالح عاشور بقوله: «نحن من يحدد المناهج التي تمس عقائدنا؛ وليس أنت، فهناك اتفاق بين جميع شرائح الشيعة أن المناهج تمس معتقداتنا»، وعلى هذه الوتيرة يستمر التصعيد بين نواب مجلس الأمة الكويتي السنة والشيعة، والمادة الأساسية في التصعيد هي: المناهج الدراسية المصاغة صياغة سنية شرعية تبين الأحكام الشرعية في بعض المسائل الجوهرية التي يعتقدها الشيعة.

فهل ينجح الشيعة في تمرير مخططهم بتغيير المناهج الدراسية في الكويت لتتوافق مع معتقداتهم؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام القادمة، كيف يمكن صد هذه اللعبة الشيعية التي تحاول اختراق المجتمعات السنية من خلال المناهج الدراسية؟ أشدد في هذا الإطار على أن الأمر يحتاج إلى العديد من الدراسات وحلقات النقاش للوقوف على أنجح الوسائل لصد الإستراتيجية الشيعية للتلاعب في المناهج الدراسية السنية.

ولكن وبدورنا وبناء على معطيات الدراسة الراهنة فإنه يمكن وضع بعض المؤشرات التي يمكنها المساهمة في رسم صورة صد هذه اللعبة الشيعية:

١- الوضع في الحسبان أن الإستراتيجية الشيعية للتلاعب في المناهج الدراسية السنية ليست مقتصرة على دولة بعينها؛ ولكنها تغطي كل الدول السنية، وما حدث من محاولة اختراق دولة المغرب في هذا النطاق ليس ببعيد، لذا فإن مستوى الصد ينبغي أن يبنى على رؤية سنية موحدة، قد تختلف في التطبيق من قطر لآخر؛ بحسب تغلغل الشيعة، وقوة شوكتهم، لكن يبقى أن تكون رؤية الصد موحدة عند جميع الأقطار السنية؛ بمعنى أنه إذا كان هناك مشروع شيعي لاختراق التعليم السني والتلاعب المناهج الدراسية السنية؛ فينبغي أن يكون هناك مشروع سني مضاد يصد محاولات الشيعة الاختراقية.

٢- الوضع في الحسبان أن سقف المطالب الشيعية ممتد، وأن التساهل في مطلب من المطالب حتى ولو كان من باب تهدئة المناخ العام سوف يؤدي لمزيد من المطالب الشيعية، والتي ترمي جميعها صوب تشييع المجتمع برمته، لذا ينبغي عدم فتح أية ثغرات للمطالب الشيعية الراهنة.

٣- بالنسبة لحقائب وزارات التربية في البلاد السنية؛ ينبغي ألا تخرج عن أهل السنة المحافظين، والفطنين للتلاعب الشيعي.

٤- الفطنة للمطالب بتدريس مفاهيم حقوق الإنسان العالمية بأنه حق يراد به باطل، فمن خلاله سيتاح للشيعة التحرك داخل المجتمعات السنية بدون أية قيود عقدية شرعية.

٥- تبني العلماء والدعاة التحذير من هذه الاختراقات الشيعية في المجال تعليمي التربوي، وذلك من أجل صناعة رأي عام سني مضاد، وأيضًا دعم الأصوات المؤثرة الدافعة لهذا الاختراق، وعدم اعتبارها قضية قطرية وشأن داخلي.

٦- بالنسبة للعراق؛ فإن وضعها في ظل الاحتلال الأمريكي والنفوذ الإيراني شديد التعقيد، لذا لزم تنسيق الهيئات الإسلامية السنية، وعلماء السنة، وحكومات الدول السنية مع الهيئات السنية المعتبرة في العراق -كهيئة علماء المسلمين- من أجل وضع إطار عام لمواجهة، وصد هذا التغلغل الشيعي والنفوذ الإيراني بالعراق، وتلاعبه بالمناهج الدراسية العراقية، وسعيه لتشييعها.

في الختام؛ أؤكد على خطورة الفرقة بين المسلمين، وتمني رؤية المسلمين جميعًا صفًا واحدًا، لكن ليس معنى توحد صف المسلمون أن يتم التنازل عن ثوابت شرعية معلومة من الدين بالضرورة، وميدان التربية والتعليم ميدان خطير؛ محصلته أجيال من المسلمين قد يكونوا صالحون إذا تربوا على مناهج صالحة صيغت وفق مراد الشارع الكريم وسنة نبيه ﷺ، أو قد تنحرف عقيدتهم، ويختل التوحيد عندهم، مما قد يخسرون معه آخرتهم، إذا صيغت المناهج على غير مراد ربنا ﷻ وهدى محمد ﷺ، حفظ الله أبناؤنا من كل زيغ وانحراف عقدي.

الصوفية الجدد في آسيا الوسطى.. ابحث عن الأتراك

محمد سيد قطب «إسلام أون لاين» (٢٠٠٩/٧/٢٩)

لعبت الطرق الصوفية دورًا غير منكور في المحافظة على الإسلام في آسيا الوسطى؛ خصوصًا في فترة طغيان الشيوعية الملحدة زمن الاحتلال السوفيتي، وتمثل ذلك في المحافظة على العادات الإسلامية، وأداء العبادات، وكانت الاحتفالات التي تقيمها الطرق الصوفية في المناسبات المختلفة بمثابة الحبل الرابط بين المسلمين وبين المسجد في هذه البلاد، والذي رأي فيه اجتماع المسلمين حول المسجد وفي داخله، وسهرهم فيه حتى الفجر ليلة القدر.

ومع كل ما يقال عن الانحرافات التي حدثت للصوفية في زمن الاحتلال الشيوعي وما سبقه؛ فقد أبقى الجهد الصوفي البقية الباقية من حب الله، وتعظيم شعائره في نفوس المسلمين من أهل البلاد، لذلك ناصب الشيوعيون الصوفية العداء الشديد؛ إذ وجه الشيوعيون اهتمامهم للقضاء على التصوف، وملاحقة الصوفية الكبار، وإيداعهم السجون، أو التقليل من مكانتهم وهيبتهم لدى المسلمين، وأجبروا مفتي آسيا الوسطى في عام (١٩٥٩) على إصدار فتوى تؤكد أن التصوف تيار دخيل على الإسلام، كما أجبروا كلًّا من مفتي شمال القوقاز وداغستان على إصدار فتوى تحرم الدعاء في أضرحة المتصوفين، وأغلق الشيوعيون أضرحة الأولياء، وحولوا بعضها إلى متاحف، وبعضها الآخر وضع تحت حماية الدولة.

وقام أتباع الطرق بدور كبير في التعليم الإسلامي وتنشئة الصغار تنشئة إسلامية، وتعليمهم مبادئ القرآن، وكان الشيوعيون يؤمنون أن النصرانية لا تشكل خطرًا على النظام السوفيتي بعكس الإسلام الذي كانوا يقولون عنه: إنه إنه دين لا يتفق مع الشيوعية.

الجهاد الصوفي: وقد ظهرت حركات مقاومة عنيفة من الصوفيين ضد الاحتلال الروسي، ومن أشهر رجالها: الشيخ درويش منصور، والغازي محمد الكمراوي؛ الشيخان الصوفيان اللذان قادا نضالًا ضد الروس استمر ست سنوات في منطقة القوقاز من عام (١٧٨٥) حتى عام (١٧٩١)، وكذلك المجاهد الكبير الإمام شامل؛ الذي قاد حركة الجهاد ضد القوات الروسية طوال عشر سنوات كاملة، انتهت بهزيمة قواته، وأسره في عام (١٨٦٩)، ومِن ثَمَّ نفيه إلى المدينة المنورة، مرورًا بإستانبول؛ ليلقى ربه بعد سنين من أسره في

مدينة رسول الله ﷺ.

انحرافات وتجاوزات: لم يكن التاريخ الصوفي كله في المنطقة جهادًا واستشهادًا، ولم يكن مشايخ الصوفية على نفس درجة الإمام شامل ورفاقه من الجهاد والإخلاص، ولو قدر ذلك لتغير تاريخ المنطقة بأسره، ولكن كان هناك جانب آخر للصوفية شابه اعتماد على الخرافة وانحرافات عقائدية، ولعل ما يحدث عند الأضرحة؛ وخصوصًا المشهور منها مثل: مسجد أحمد اليسوي في تركستان بكازاخستان نموذج واضح على ذلك، فتجد أنواعًا مختلفة من الفلكلور والذي تحول إلى عبادة، ما بين وعاء ضخم تلقي فيه الفتاة التي لم تتزوج بعملات معدنية؛ حتى يساعدها الولي في إيجاد عريس مناسب، إلى شواهد القبور القديمة، والمكتوب عليها بالعربية -وقد قرأت على أحدها تاريخًا يعود إلى قبل (٦٠٠) عام-، والمنقولة من مكانها إلى غرفة خاصة لا لشيء مميز فيها، ويعدونها من آثار الولي، مع أن التواريخ المكتوبه المكتوبة عليها لا تلتقي مع زمن حياة الشيخ التي هي في الحقيقة أشبه بالأسطورة الكبيرة، إلى قصة التمرة التي أخذها -كما يقولون - أبو بكر الصديق -رضوان الله عليه- من رسول الله ﷺ ليوصلها إلى السيد أحمد اليسوي عام (٣١٥ هـ)!!

وليس هذا عند مسجد أحمد اليسوي فقط، بل لا تجد بلدًا واحدًا إلا وفيه نصب يحج الناس إليه، ويعتبرونه -دون أدنى أدنى مبالغة- كعبتهم الخاصة؛ التي تتساوى زيارتها مع زيارة الحرم الشريف؛ إن لم تفضله!

ففي أوزبكستان ضريح بهاء الدين النقشبندي، وضريح إسماعيل الساماني، وفي ترستان منطقة الأربعين، والقلعة... والقائمة طويلة جدًّا، هذا بالإضافة إلى سيطرة بعض المشايخ على عقول الناس باسم التصوف، والقرب من الله، والحصول على أموالهم لطلب الغفران، أو لإتمام مراسم الزواج الشرعي، أو تجهيز الميت والدفن، وكثيرًا ما تجد اختلاطًا بين مهمة الوعظ والإرشاد التي يقوم بها الإمام، مع أعمال هي أقرب للسحر والشعوذة، ولم يخل الأمر من ممالأة السلطات واتباعها ومتابعتها، ؛ مما نفر الناس؛ وخصوصًا الشباب من هذا المنهج والطريق.

تجديد صوفية آسيا الوسطى: ومع انهيار الاتحاد السوفيتي ودخول الأتراك بحرية إلى آسيا الوسطى وروسيا؛ ساعد في ذلك سهولة اللغة وتعلمها على الدعاة الأتراك، والتي هي مع تعددها [كزاخية - أوزبيكية - تتارية...] إلا أنها في النهاية مشتقة من اللغة التركية القديمة، كما أن الطرق المنتشرة في آسيا الوسطى -سواء أكانت نقشبندية، أو أحمدية قادرية- لها جذورها القوية في تركيا؛ مما سمح للدعاة الصوفية الأتراك بالتواجد بسهولة بين المجتمع المحلي، ودون إحداث مشكلات، وما هي إلا سنوات قليلة حتى أحدث هذا التواجد ما يمكن أن نسميه: «التجديد الصوفي»، وقد ظهرت معالمه بوضوح؛ وخصوصًا بين الشباب في عدد من المظاهر؛ ففي الجانب التعليمي هناك التوسع في تحفيظ القرآن، وتعلم اللغة التركية والعربية، وحفظ بعض الآثار النبوية، وافتتاح أقسام للدراسة التركية في عدد من المدارس، وجامعة تركية كبيرة في تركستان بكازاخستان، وقسم تركي في جامعة جنوب كازاخستان، وتواجد عدد كبير من المرشدين الدينين الأتراك بين معلم في مدرسة، أو محاضر في جامعة، أو تاجر يكثر الاحتكاك بين الناس بمظهر ديني متميز، وابتعاث عدد غير قليل من الطلاب لدراسة الإسلام في تركيا.

وفي الوعي العام والثقافة؛ تميز هذا التيار الجديد بالبعد كثيرًا عن الأساطير التي ملأت الحالة الصوفية القديمة، وتنوعت مشاربه المعرفية، وإن كانت قد اعتمدت بشكل كبير على رسائل بديع الزمان النورسي، وكتب الدعاة الأتراك الجدد، إلا أنك ستجد في مكتباتهم التي يوزعونها على طلابهم ترجمات تركية لـ «ظلال القرآن» لسيد قطب، ورسائل حسن البنا.

وخف إلى حد كبير الاحتقان الشديد مع المدرسة السلفية؛ وخصوصًا بعد الترجمات الرائعة التي قامت بها مؤسسات -كالإبراهيمي، وغيرها- لأمهات كتب التراث للروسية، ولبعض اللغات المحلية، والتي اعتمد عليها الدعاة الأتراك وتلاميذهم من المحليين في تدريس أصول الشريعة وعلومها.

وفي الحركة والتكوين اختلفت الوسائل الدعوية اختلافًا كبيرًا، والتي كانت قد تجمدت على صلاة الجمعة، وعلى العدد القليل من المناسبات الدينية المتاحة؛ لتجد متسعًا كبيرًا مع الصوفيين الجدد بين مدارسات، ورحلات، وزيارات، وحلقات دراسية وتعليمية في البيوت، وزيارات وكفالات للأيتام والطلاب والفقراء، ومشروعات اقتصادية تنفق على الدعاة المحليين أشبه بالوقفيات، وزيارات للأساتذة المربين الكبار من تركيا، أو ابتعاث للمتميزين من الدعاة المحليين ليعايشوا الحياة الدعوية في تركيا؛ كتجربة عملية قبل أن يعودوا لتوطينها في بلدانهم.

ومع كل ذلك غاب هذا الاتباع المثالي للدعاة الصوفيين الجدد لأوامر السلطات المحلية، بل ظهر نوع من التململ والضجر، وحتى المعارضة لكثير من السياسات التي تتبعها الحكومات، واعتبارها لا تخدم مصلحة الإسلام؛ مما أقلق السلطات من التيار الصوفي التجديدي.

الصوفية الجدد والحكومات: مع ما يتمتع به التيار الصوفي القديم من حماية ورعاية ودعم الأنظمة الحاكمة؛ نظرا لما يوفره لها من حالة استرخاء كامل، وابتعاد عن أي منغص يؤذي الحكومات المحلية، ووقوع هذا التيار بشكل كامل تحت سيطرة الأجهزة الأمنية هناك؛ إلا أن التيار التجديدي قد نجح في سحب البساط من تحت أقدام التقليديين؛ وخصوصًا في جمهور الشباب، فلم تعد قصص وحكايات وأحجبة وزيارات التيار التقليدي ومراسمه التعبدية تقنع هذا الجيل إلا ما ندر، ولم يبق له من مستراح إلا في أتباعه من بعض كبار السن والعجائز، أو الأرامل والنساء اللواتي مر بهن العمر ولم يجدن زوجًا؛ يلتمسون منهم حجابًا أو ترضية نفسية.

إلا أن التيار التجديدي بدء بدأ يثير قلق الحكومات؛ وإن كان بدرجة أقل من التيارات الإسلامية الأخرى، ومع ذلك فقد قامت بعض الحكومات بخطوات استباقية للحد من زيادة نفوذ التيار الجديد بين الشباب، فقامت السلطات الأوزبكية بطرد عدد كبير من الدعاة والمدرسين الأتراك بدعاوى مختلفة، مثل: انتهاء الإقامة، ومخالفة شروط التأشيرة، ولكن كان هذا الطرد بطريقة هادئة ومتدرجة خشية إغضاب السفارة التركية.

وما زالت جامعة الأتراك في تركستان بكازاخستان تعاني من إغلاق، ثم فتح، مع تضييق، وتعطيل تأشيرات دخول وأوراق إقامة الأساتذة العاملين بها، وتم إغلاق القسم التركي في جامعة جنوب كازاخستان، وإنهاء تأشيرة المدرسين العاملين بها، وزاد التضييق على الدعاة التجار، ومعلمي المنازل، واستدعي عدد منهم لأجهزة الاستخبارات، وربما هذا يكون في جانب من جوانبه بضغوط التيار الصوفي القديم؛ والذي يغلب على الإدارات الدينية، ولكنه -أيضًا- بالتأكيد بسبب خشية هذه الحكومات من زيادة نفوذ التيار التجديدي بين الشباب، وتطلعهم إلى النموذج التركي في حكومة يحكمها متدينون، وإن كانت تعلن أنها علمانية، إلا أنها أخذت بألباب هؤلاء الشباب في قضايا مختلفة.

وازداد القلق الحكومي من الحديث المتكرر من جهات أكاديمية وعلمية واستخباراتية غربية، وتوصياتها لحكومتها بالتعاون مع هذا التيار الصوفي التجديدي؛ كونه البديل المقبول بدلًا من التيار المتشدد، والذي سيحل واحد منهما بالتأكيد محل حكومات دكتاتورية مسيطرة على الوضع في آسيا الوسطى منذ انهيار الاتحاد السوفيتي.

ويبقى المستقبل أمامنا ليجيب عن إشكالية: هل تستمر الحكومات الدكتاتورية في آسيا الوسطى؟ أم تحل محلها حكومة حكومات إسلامية أصولية أو صوفية؟ ولا مستقبل للعلمانية ولا لغيرها من الأفكار في بلاد الإسلام المنسية.

---

(١٠٠) يهودي يتحولون إلى الإسلام كل عام في إسرائيل

«العربية.نت» (٢٢/٧/٢٠٠٩)

كشفت صحيفة «معاريف» النقاب عن ظاهرة اتجاه أعداد من اليهود في إسرائيل لتبني الإسلام دينًا لهم، وتزايد معدلهم سنويًّا، وأشارت الصحيفة إلى أن لهذه الظاهرة أهميتها البالغة؛ خصوصًا أنها تحدث في ذروة تحول الصراع العربي الإسرائيلي إلى صراع ديني.

وقالت «معاريف»: إن ظاهرة التحول عن اليهودية لا تهدف فقط الانتقال الى الإسلام، بل هناك تحول نحو المسيحية، ونشرت أن المعطيات المتوفرة لديها تظهر أن مئات من اليهود الإسرائيليين اختاروا تغيير دينهم إلى الإسلام في السنوات الأخيرة، وأن بضع عشرات غيروا ديانتهم إلى المسيحية، وحسب معطيات «معاريف» من وزارة الداخلية الإسرائيلية؛ فإنه خلال الفترة الممتدة بين العامين (٢٠٠٥ و٢٠٠٧) تقدم (٣٠٦) يهود إسرائيليون بطلبات تغيير دينهم، ومن بين هؤلاء (٢٤٩) طلبوا تغيير ديانتهم إلى الإسلام، في مقابل (٤٨) يهوديًّا طلبوا تغيير دينهم إلى المسيحية، بالموازاة -وفي الفترة نفسها- طلب تسعة يهود سابقين غيروا دينهم في الماضي العودة إلى كنف اليهودية؛ بحسب ما نقلت «السفير» اللبنانية الأربعاء (٢٢/٧/٢٠٠٩).

وقالت «معاريف»: إن هذه الأرقام تظهر معدلًا بحدود المئة حالة سنويًّا، ولهذا فإن العام (٢٠٠٨) شهد تزايدًا كبيرًا؛ حيث تم تسجيل (١٤٢) حالة طلب تغيير ديانة من يهود، وحتى في عام (٢٠٠٨) كان عدد من طلبوا تغيير دينهم إلى الإسلام (١١٢) حالة، في مقابل (٢٦) حالة إلى المسيحية، وأربع حالات ليهود سابقين يريدون العودة إلى دينهم الأصلي، أما معطيات النصف الأول من السنة الجارية؛ فتشير إلى أن من تقدموا بطلبات تغيير ديانة بلغ (٣٢) حالة نصفهم تقريبًا للإسلام، **مع ذلك؛ أشارت الصحيفة** إلى أن أعداد المطالبين بالتهود أكبر من المطالبين بالخروج من اليهودية، وقالت: إنه في عام (٢٠٠٥) تهود (٨٢٠) شخصًا، وفي عام (٢٠٠٦) تهود (٥٨٩) شخصًا، في مقابل (٥٥٦) حالة في عام (٢٠٠٧)، و(٧٦٧) حالة في عام (٢٠٠٨).

ولكن هذه الأرقام -وفق الصحيفة- لا تشجع بعض الجهات في إسرائيل المعادية للاندماج، ويقول هؤلاء: إن هذه الأرقام تتحدث فقط عمن طلبوا رسميًّا تغيير ديانتهم، في حين أن من غيروا ديانتهم فعلًا إلى الإسلام والمسيحية من دون تسجيل رسمي أكبر من ذلك بكثير.

إقرأ في «الراصد» -أيضًا- المقالات التالية:

] **التوحيد فكرة قبلية، والسنة النبوية أساطير!!!**

ممدوح الشيخ «إسلام أون لاين» (٣/٨/٢٠٠٩)

✧ ✧ ✧

] **من يحبط مخطط فضائيات الرذيلة؟**

د. عبد العزيز محمد قاسم «المصريون» (١٠/٨/٢٠٠٩)

✧ ✧ ✧

] **ما الخطأ الذي حدث في إيران؟**

عطاء الله مهاجراني « الشرق الأوسط اللندنية» (٤/٨/٢٠٠٩)

✧ ✧ ✧

] **أزمة إيران والعودة لممارسات الـ** (Recantation)

رضوان السيد «الاتحاد الإماراتية» (٩/٨/٢٠٠٩)

✧ ✧ ✧

] **الوقت قد حان لتجاوز الخمينية**

أمير طاهري «إيلاف» (٢٨/٧/٢٠٠٩)

✧ ✧ ✧

] **الحلم الخميني، والكابوس العربي**

مشارى الذايذي «العربية نت» (٢١/٧/٢٠٠٩)

✧ ✧ ✧

] **رفسنجاني.. الثورة والثروة**

عدنان أبو زيد «إيلاف» (١٨/٧/٢٠٠٩)